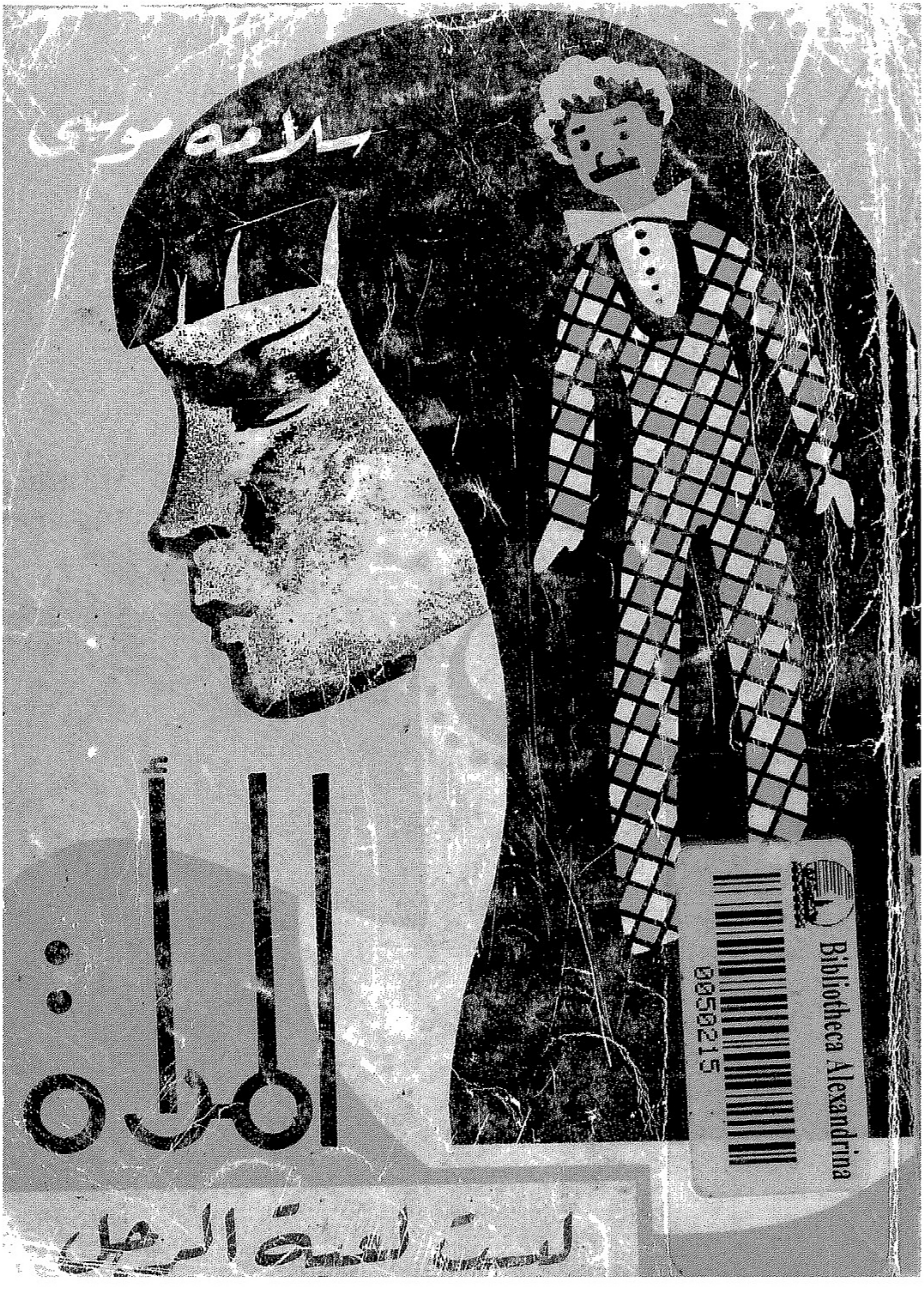

سلامة موسى
المرأة:
ليست لعبة الرجل

سلامة موسى

المرأة ليست لعبة الرجل

سلامة موسى للنشر والتوزيع
تراث من الكفاح الهادف

مقـــدمة

يؤخذ من إحصاء نشرته « الأخبار » فى القاهرة أن عدد الطالبات فى جامعاتنا الثلاث فى يناير من ١٩٥٦ بلغ ٥٧٣٦ طالبة يتعلمن ، وسوف يتخرج منهن عدد كبير بعد عام أو أكثر وقد درسن الحقوق أو الآداب أو العلوم

وهذا العدد ، مضافاً إليه نحو عشرين ألف طالبة فى المـــدارس الثانوية ، سوف يغزو المجتمع المصرى بذكاء مدرب ، وكرامة مؤيدة ، وبعائلات تبنى على أساس من الأمهات المتعلمات . وعندئذ يرقى هذا المجتمع المصرى فلا يكون ، كما هو الآن ، مجتمعاً انفصالياً لايختلط فيه الرجال بالنساء

لقد كان هذا المجتمع المصرى يحيا على الرجال وحـدهم . وكانت المرأة ، المضروب عليها الحجاب ، تعيش بين أربعة جدران فى المنزل ، تختبىء وراء الأبواب والشبابيك . بل كانت الشبابيك مشربيات مخرمة تتيح لهـا النظر إلى الشارع حين تلصق وجهها بخروم المشربية حتى ترى شيئاً من حركة الناس والأشياء، وحتى تحس أنها لاتزال حية أو أن لها

من الحياة العامة جزءاً مهما صغر

ولكن هذا التعليم الذى أخذت به فتياتنا فى مراحله الثلاث الابتدائية والثانوية والعليا ، قد نقل المرأة المصرية إلى مستوى رفيع يقسر الرجل على احترامها ويقسرنا جميعا على تغيير القوانين الجائرة التى أذلتها

ولست أشك فى أن عاداتنا الموروثة فى قتل امرأة بدعوى العرض إنما هى فى صميمها احتقار للمرأة للمركز المهين الذى أنزلناها اليه بتقاليدنا السوداء . وأن هذا القتل سيزول حين يحس أعضاء العائلة ، أو حتى أعضاء الأسرة ، أن هذه الفتاة العذراء أوهذه السيدة المتزوجة قد أصبح لها حرمة ومكانة بسبب تعلمها

ولن يجرؤ أخ أو إبن عم أو أب على قتل فتاة عذراء لأن أحدهم ضبط خطابا قد أرسل إليها يحتوى كلمات عن الحب . ذلك لأن الفتاة المتعلمة قد اكتسبت بتعلمها شخصية قوية واستقلالا روحياً بحيث تجرؤ على أن تسوس حياتها كما تشاء وتتحمل مسئولياتها كما تقدر . وليس كما يقدر غيرها

وهذه الشخصية ، وهذا الاستقلال ، سيكفان كل متنطع ، يزعم الدفاع عن العرض ، عن أن ينتقدها ويحمل السكين أو المسدس لقتلها . إذ هى أعرف منه بحقيقة سلوكها وسياسة حياتها

وكثير من فتياتنا ، خريجات الجامعات ، يتزوجن . بل الأغلب أنهن كلهن ينشدن الزواج ويجدن الأكفاء لهن من الشبان المتعلمين مثلهن . وهذا حسن . لأن خير مايستمتع به إنسان هو أن يحي فى عائلة ،

وأن يكلف واجبات ، لها متاعبها ولذاتها ، ولكنها رفيعة فى القيمة الإنسانية . وليس فى الدنيا أبعث على إحساس السعادة وأجمل من الحب بين شاب وفتاة يؤسسان بيتاً ويعيشان هذه العيشة الزوجية التى تسمو على الأنانية وتهدف إلى التعاون بين اثنين قد ربطهما الحب وتربية الأطفال

ولكننى أنصح لجميع الزوجات ، خريجات الجامعات ، بل حتى أولئك اللائى لم يحصلن إلا على الشهادة التوجيهية ، ألا يقتصرن بعد الزواج ، على خدمة البيت . إذ ماذا فى البيت يستحق أن ترصد له الزوجة نفسها ووقتها وفراغها ؟

يجب على المرأة المتعلمة أن تعمل خارج البيت وتؤدى خدمة اجتماعية لوطنها . وذلك بأن تستغل جميع الفرص والوسائل الجديدة التى تجعل أداء الواجبات المنزلية سهلا يستغرق الدقائق بدلا من الساعات . كما تجعل تربية الأطفال فنية فى أيدى المربيات فى المحضن أولا إلى سن الرابعة ، ثم فى الروضة ثانياً إلى سن السادسة أو السابعة

انه حسن وجميل أن تكون المرأة زوجاً وأماً . ولكن واجبات الزواج والأمومة لا يمكن أن تستغرق كل الوقت ، النهار والليل ، عند المرأة المتعلمة . ولذلك يجب عليها أن تستغل معارفها ومهارتها فى عمل اجتماعى آخر إلى جانب الزواج والأمومة

وهذا العمل الإجتماعى الآخر هو الذى يصل بينها وبين المجتمع ، ويكسبها العقل الإجتماعى ، ويربى شخصيتها ويدرب ذكاءها ويؤكد استقلالها . وأعنى هذا الإستقلال بأنواعه الإقتصادى ، والروحى ، والإجتماعى

على المرأة أن تحيا حياتها لنفسها أولا ثم لمجتمعها وزوجها وأبنائها .

كما على الرجل أن يحيا حياته ، مثل المرأة ، لنفسه أولا ثم لمجتمعه وزوجته وأبنائه

والرجل لا يتخصص للزواج . وكذلك المرأة يجب ألا تتخصص للزواج . ذلك لأن حياتنا ، نحن الرجال والنساء، أغلى من هذا وأرحب من أن يحتويها هذا التخصص

وليس من حق أحد فى الدنيا أن يقول للمرأة : عيشى فى البَيت طيلة عمرك ، ثمانين أو تسعين سنة ، لا تختلطى بالمجتمع ولا تؤدى عمل المحامى أو الطبيب أو الصانع أو الكيماوى أو الفيلسوف . وإنما اقصرى كل قوتك وكل وقتك على الطبخ والكنس وولادة الأطفال

لا ، ان المرأة العصرية أرحب آفاقاً وأكثر اهتماماً من أن يستغرق المنزل كل حياتها

أيتها المرأة لا تكونى لعبة

إنى أدعوك ، أيتها المرأة المصرية ، إلى أن تثبتى وجودك الإنسانى والاجتماعى ، فى الدنيا ، بالعمل والإقدام . وأن تختارى حياتك واختباراتك

أدعوك إلى أن تدربى ذكاءك ، وتربى شخصيتك ، وتستقلى فى تعيين سلوكك ، وتزدادى فهماً وخبراً ونضجاً بالسنين

لاتكونى لعبة نلعب بك نحن الرجال . الذين نشترى لك الملابس الزاهية ، والجواهر المشخشخة ، ونطالبك بتنعيم بشرتك ، وتزيين شعرك ، وكأن ليس لك فى هذه الدنيا من سبب للحياة سوى أنك لعبتنا نلعب بك ونلهو

ليس شك أن أنوثتك جميلة . وليس شك أنك تعتزين بجمالك وتعنين به . ولكن لاتكونى لعبة

أنت إنسان لك جميع الحقوق الإنسانية التى للرجل . فلا تقبلى أن ينكر عليك أحد هذه الحقوق وأن يعين لك طراز حياتك

أنت إنسان لك حق الحياة واقتحام التجارب البشرية وحق

الإصابة والخطأ . لأنك ، بغير ذلك ، لاتحصلين على تربية إنسانيـة . أى لاتـكبرين ولا تنضجين بل تبقين طفلة واعبـة ولو بلغت الستين أو السبعين من العمر

سيقال لك أن البيت هو دائرة نشاطك . وهو كذلك إذا شئت أنت . ولـكن ليس لأن هناك حكما سماوياً قهرياً يجبرك على الطاعة وعلى البقاء فى البيت . ثم اذكرى أنه ليس فى الدنيـا بيت يمكنه أن يستوعب كل نشاط المرأة

البيت أصغر من أن يستوعب كل إنسانيتك ، وكل عقلك ، وكل قلبك . لأن الدنيا الواسعة هى بيتك الأول

يجب أن تحي فى الدنيا قبـــل أن تحي فى البيت ، أو مع حياتك فى البيت

أنت لست خادمة الرجل يلعب بك ويلهو ، وتنجبى له الأطفال ، وتطبخى له الطعام ، وتغسلى له المرحاض

أنت شريكته إذا شئت . ولست خادمته

أنت أم الرجل ، وأختـــه ، وزوجته ، وزميلته ، ولـكن يجب ألا تـكونى خادمته أو لعبته

أنت ثمرة ألف مليون سنة من التطور . ولك قدرة على الفهم لم يرتفع إليها حي فى كل هـــذه السنين . فلا تبخسى قدرك، وتحيلى شخصيتك إلى لعبة . ولاترضى بأن تـكونى خادمة الرجل . إذ هو لايمتاز عليك بأية ميزة

أنت أغلى فى تقدير الطبيعة من أن تـكونى لعبة أو خادمة . وأنته

تخونين روحك إذا لم تستقلي في هذا السكون ، وتحيي الحياة المستقلة ، وتنظرى النظرة المستقلة إلى شؤون العيش

ان الرجال يتهمونك بأنك غير ذكية ، غير شجاعة ، غير سخية ، غير بصيرة ، لم تتفوق في الاختراع أو الاكتشاف ، ولم تبرزى في العلوم أو الفنون

وكل هذه التهم صحيحة

ولكنها صحيحة لأنك تمضين حياتك محبوسة بين أربعة جدران في البيت . ولو قدر لنا نحن الرجال أن نحبس كذلك لكنا في هذه الحال التي تتهمين أنت بها

ذلك أن الذكاء والشجاعة والسخاء والتبصر والاختراع والاكتشاف ، كل هذه الأشياء ، هي بعض النشاط الاجتماعي الذي يدعونا إليه المجتمع ويبعث فينا ، حين نختلط به وتتفاعل معه ، تلك العواطف التي تحثنا على النشاط الذهني أو الجسمي

لماذا يكبر ذكاؤك إذا كان البيت لاتحتاج واجباته إلا إلى مقدار صغير منه ؟ هل الطبخ يحتاج إلى ذكاء كبير ؟ هل غسل الملابس يحتاج إلى ذكاء عظيم ؟

لماذا تكونين عبقرية؟. هل إدارة البيت تحتاج إلى ذهن عبقرى؟

لماذا تحسين المسئوليات الاجتماعية في البر والسخاء والتبصر ؟ هل البيت يحتاج إلى كل هذه الصفات ؟

إننا ، نحن الرجال ، لاختلاطنا بالمجتمع ، نرسم « تصميم » حياتنا قبل أن نبلغ العشرين . وذلك لأن المجتمع يوسع لنا في الطموح .

فقد يهدف أحدنا فى هذه السن أو قبلها إلى أن يكون وزيراً أو سفيراً أو طبيباً أو معلماً أوفيلسوفاً أو مهندساً أو عالما أو تاجراً . وعندئذ يجد فى هذا الهدف وسيلة إلى النشاط الذهنى أو العاطفى تحمله إلى غايته فيبلغها ، ويجد فيها الرابطة التى تربطه بالمجتمع وتحرك ذكاءه

ولكن أنت لاتهدفين إلى مثل هذا الهدف لأن المجتمع يفصلك ، وكأنه ينبذك . وعندئذ لاتجدين العاطفة التى تحثــك على النشاط ، أى لاتجدين الوسائل لتدريب ذكائك وشجاعتك وسخائك وبصيرتك

أنت معطلة الذهن لأنك لاتهدفين إلى الأهداف الاجتماعية العظيمة التى يهدف إليها الرجل . ونتيجة ذلك أنه يدرب ذهنه فيكون ذكياً بل عبقرياً . أما أنت فلا تدربين ذهنك بل تعطلينه

إنمــا يترى الذكاء والفهم والعبقرية بالاشتباكات الاجتماعية، ومصادمة المشكلات فى المجتمع ومحاولة حلها . ولا ذكاء ولا عبقرية ولا فهم لإنسان ينفصل من المجتمع

أنت ، أيتها المرأة المصرية ، مفصولة من المجتمع . ولذلك لايجد ذكاؤك التدريب الذى يحتاج إليه ، فيتبلد

أنت تحيين على هــذه الدنيا ٧٠ أو ٨٠ سنة، فلماذا تحيينها فى حدود وقيود ؟

إننا نحن الرجال نستمتع بالتجربة . أى نستمتع بالتربية

وليست التربية ماتتعلمه فى مدرسة أو جامعة ، إنمــا هى تجارب الحياة واختباراتها وما نصيب وما نخطىء

وليس الخطأ سوى إصابة سلبية . فيجب ألا نخشاه

يجب ، أيتها المرأة المصرية ، أن تزاملي الرجل في العمل، ولا تعملي وحدك . بل يجب أن تبدأي الزمالة من الطفولة، تتعلمين وأنت صبية مع الصبايا ، وأنت فتاة مع الشبان . ثم تزاملي الرجل في المكتب والمتجر والمصنع

نحن الرجال والنساء يجب ألا ينفصل أحد جنسينا عن الآخر . لأننا عندما ننفصل نقع في شذوذات جنسية بشعة . بل نقع أيضاً في شذوذات ذهنية وعاطفية . فلا نحسن التفكير ، ولا نستطيع معالجة أي موضوع إنساني بذكاء فضلا عن عبقرية

كوني إنساناً كما أنت امرأة . ولكن لاتقنعي بأن تكوني أنثى ، زاهية الملابس، مصففة الشعر، مجلوة البشرة، تشخشخين بالذهب والألماس

لاتكوني لعبة نلعب بك ونلهو . حتى إذا شبعنا منك، وبشمنا ، تجشأنا وعزفنا

إننا نحن الرجال نبسط ذكاءنا على بساط رحب من الأعمال والاهتمامات والدراسات . ندرس الجيولوجية ونستخرج البترول من جوف الأرض ، ونخترع الطائرات ، ونسيح في الهند وأمريكا ، ونمارس التجارة ، وندرس الفلسفة ، ونسافر إلى برلين أو روما أو باريس ، ونشتغل بالسياسة ، ونهدف إلى أن نكون وزراء أو علماء . ولذلك ينشط ذكاؤنا ، وقد يرتفع إلى ما نسميه العبقرية

هذه العبقرية ليست شيئاً موهوباً مقصوراً على الرجال. إنما هي ثمرة الاهتمامات والأعمال التي تربطنا بالمجتمع وشؤونه من علم أو فن . فإذا اشتبكت أنت في المجتمع فإنك ستذكين وقد ترتفعين إلى العبقرية

إن الفصل بين الجنسين، وقصر نشاطك الذهني والجسمي على البيت، قد ملأ هذا المجتمع المصري بآثام وشرور كادت تحيل أفراده أو بعض أفراده إلى حيوانات

هذا الفصل هو علة الشذوذ الجنسي الذي يجعل من الرجل حيواناً، قبيحاً، زرياً، مريضاً، يحيي في هذه الدنيا حياة سرية يفترس الصبيان ويفسدهم ويحرفهم عن رجولتهم القادمة. ولا علاج لهذه العاهة إلا بالاختلاط بين الجنسين، حتى يتجه الاشتهاء الجنسي وجهته الطبيعية ولا ينحرف، بحيث يحب الرجل المرأة ولا يحب الغلام . . .

ثم قارني بين المرأة المخدرة التي تلزم بيتها وتتبرج لزوجها وبين المرأة المنتجة العاملة. الأولى انفرادية تحمل في نفسها جميع المساوىء التي تنشأ من الأنانية الانفرادية فضلا عن تحديد ذهنها بالمحظورات والمحرجات. أما الثانية فاجتماعية، تحمل في نفسها جميع الفضائل الاجتماعية، وأولها حرية التفكير وحرية التجربة وحب الخير العام

إن الفضيلة، مثل الذكاء، عادة اجتماعية. إذ ليس هناك معنى للصدق أو الخير العام، أو الإنسانية، أو الحب للبشر، أو الشهامة، أو الشجاعة، إلا فيما يصل بيننا وبين المجتمع

قد يقال لك أنك أكرم من أن تلوثي بأدران المجتمع. ولكن إذا كان المجتمع ملوثاً فهو يحتاج إليك كي تطهريه

وقد يقال إن البيت يحميك من كوارث الدنيا. ولكن هذه الكوارث تربينا. وحقك في التربية والنمو والنضج هو في النهاية حقك في الاقتحام ولقاء الكوارث

تعلمى صناعة ، واحترفى حرفة قبل الزواج ، حتى تختارى زوجك عن حب وتقدير وليس لأنه سيعولك لأنك عاطلة تعجزين عن أن تعولى نفسك . والصناعة فوق ذلك تصون كرامتك، وتصل بينك وبين المجتمع، وتكسبك الإحساسات الاجتماعية

إن أخطر ما تعملينه فى حياتك ، أيتها الفتاة ، هو اختيارك لزوجك. ذلك انك بهذا العمل قد اخترت رجلا سوف يحيا معك ويعاشرك طيلة عمرك . وسوف يكون أباً لأبنائك . وعلى قدر مافيه من ميزات بيولوجية ، مثل الذكاء الفطرى والصحة الجسمية وجمال القوام والوجه ، سيكون كل ذلك أو معظمه فى أبنائك بنتيجة الوراثة

ثم على قدر مافيه من أخلاق ومطامع وعادات سيكون كل ذلك أو معظمه فى أبنائك بعامل القدوة

فلا تهملى الدقة فى الاختيار . واجعلى هدفك أن يكون هذا الزوج الذى تختارينه زوج العمر ، زوج الحياة . بحيث لا تشكين فى أنه سيسأمك ويتزوج غيرك بعد سنة أو سنتين

ولن تعرفى ذلك إلا إذا كنت قد تعرفت عليه قبل الزواج بجملة شهور ، أو بعام كامل ، تدرسين أخلاقه وأهدافه وفلسفته فى الحياة وآراءه الاجتماعية والإنسانيـــة . ولذلك لا تتعجلى ، ولا تغترى ، بل تمهلى واستأنى

ثم تذكرى أننا كلنا نقول بضرر الطلاق يجرى جزافاً واستهتاراً . فإذا كنت أنت من هذا الرأى ، وهـذا مالا شك فيه ، فيجب ألا تتزوجى رجلا قد طلق زوجته إلا بعد أن تدرسى الأسباب والحجج

التى بنى عليها هذا الطلاق . فإذا وجدت أنه كان عادلا فتزوجيه، وإلا عدلت عنه حتى يجد من هـذه المقاطعة ما يردعه فى المستقبل عن الاستهتار

وكذلك نحن نقول بأن تعدد الزوجات يفسد العائلات ، ويحطم أواصر القرابة ، ويبعث الأحن بين الأبناء . فعليك ألا تتزوجى رجلا يجعل لك ضرة كما يجعلك أنت ضرة لزوجة أو لزوجتين أخريين . ولا يمكن أن تتحقق المساواة التى تنشدينها بالجنس الآخر إذا كنت ترضين بأن تكونى واحدة من جملة زوجات لرجل واحد

إن المساواة بين الجنسين تقتضى الزواج من امرأة واحدة .والرجل الذى يتزوج بأكثر من واحدة إنما يلعب ويعبث بإنسانيتك ويحيلك إلى أنثى فقط

وإذن عليك قبل الزواج أن تتعلمى حرفة أو صناعة ، حتى لا يحملك عجزك عن أن تعولى نفسك على الارتماء والرضى بأى زوج يحمل عنك هذا العبء ويكسب لك . لأنك عندئذ لا تختارين زوجاً صالحاً للمعاشرة جديراً بالأبوة لأبنائك ، وإنما تختارينه عائلا يقيتك. ويقيتك فقط . وعندئذ قد يكون دميما ، فتنتقل الدمامة إلى بناتك وأبنائك. وقد يكون مغفلا ، فتنتقل الغفلة إلى بناتك وأبنائك . وقد يكون رذلا ، فتنتقل رذائله بالقدوة إلى أبنائك

تعلمى حرفة تكسبك الاستقلال الاقتصادى الذى يتيح لك الاختيار الحسن للزوج

والكلمة الأخيرة : لا تنفصلى من المجتمع

فإذا استطعت أن تحترفى حرفة وأنت متزوجة فافعلى .

وإذا لم تستطيعى ذلك فلا تكفى عن الاشتراك فى النشاط الاجتماعى للمرأة بأن تكونى عضوة فى جمعية خيرية أو هيئة اجتماعية تزيد إحساسك الاجتماعى ، وتربى ضميرك ، وتفتأ تذكرك بأنك إنسانة قبل أن تكونى أنثى

الأصل البدائى للحجاب

فى اللغة العربية كلمة يمكن ، كما هو الشأن فى كلمات أخرى ، أن تهدينا إلى الأصول البدائية التى نشأ منها الحجاب . هذه الكلمة هى : دم

فمن الدم اشتق العرب البدائيون ، قبل آلاف السنين ، الدميم والدميمة ، وكذلك الدمامة ، بمعنى القبح فى الوجه

ذلك أن الإنسان البدائى ، قبل أن يعرف الزراعة ، كان يقتات بالجذور أو الثمار البرية يجنيها من الغابات التى كانت تملأ الدنيا . وكان إلى ذلك الوقت لايعرف السير جماعات أو قبائل . ولكنه كان مع ذلك يعرف العائلة . عائلة الأم فقط دون الأب

كانت عائلة الإنسان البدائى تشبه عائلة الحيوان فى وقتنا . أى تتألف من الأم وأبنائها فى سن الرضاع أو مايتجاوزه بقليل حين يستطيع هؤلاء الأبناء أن يستقلوا ويتركوا الأم . ولم يكن هناك مكان للأب فى هذه العائلة الأولى . لأن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة لم تكن تزيد على إشباع الشهوة . وكان الاعتقاد السائد أن الأم وحدها هى التى

ولا يزال هذا الاعتقاد عاماً عند بعض القبائل البدائية . كما أثبت ذلك «مالينوفسكى فى كتابه «الحياة الجنسية بين المتوحشين» . فإن هؤلاء المتوحشين يقولون بأن المرأة تحمل لأن روحاً أو طائفاً يزورها وهى نائمة ، فيلقى فى رأسها بذرة الطفل الذى ينحدر إلى رحمها ويستقر وينمو حتى يولد

واللغة العربية تدلنا على هذا الاعتقاد . فإن كلمة «حيا» تعنى عضو التناسل فى المرأة . وقد اشتقت منه كلمة «الحياة» . وذلك للاعتقاد بأن المرأة ، عن سبيل الحيا ، هى أصل الحياة . أما الرجل فلا شأن له فى ذلك واتصاله بالمرأة لا يزيد على أن يكون للذة والمتعة

وبقاء الأطفال فى حاجة إلى الرضاع والحمل نحو سنة أو أكثر ، ثم حاجتهم بعد ذلك إلى من يحميهم من الوحوش ، جعل بقاءهم مع الأم ضروريا نحو ثمانى أو عشر سنوات . بل ربما أكثر . ثم حاجتهم بعد ذلك إلى من يحميهم من الوحوش ، جعل تعلمهم كيف يتقون أعداءهم ، وكيف يبحثون عن الثمار البرية ، وكيف يتفاهمون بالكلمات القليلة التى يأخذونها عنها

العائلة البشرية هى الأم مع أطفالها بلا أب . وكان قوت هذه العائلة هو الجذور والديدان والثمار فقط . ولم يكن لهذه العائلة من آلات سوى القليل جداً من الأحجار التى تستدق فى طرف للحفر عن الجذور أو الديدان

ولكن هذه العائلة تغيرت بعد ذلك من عائلة الأم إلى عائلة الأب

حين عرف الإنسان البدائى الصيد

وقد أدى الصيد إلى نتيجتين . .

الأولى : أن يتعاون الرجال على ترصد الحيوان الذى يراد صيده . بأن يكمنوا له فى جملة مواضع مختفين . حتى إذا ظهر احتوشوه،ثم هجموا عليه بما فى أيديهم من آلات حجرية فمزقوه . ولكن إذا كان الحيوان قوياً مثل الفيل أو الكركدن أو الجاموس ،فإنهم كانوا يهيئون له حفرة يتردى فيها عندما يحتوشونه

ولم يكن يخرج للصيد سوى الرجال . لأن المرأة كانت على الدوام حاملا أو مرضعاً أو اماً يتبعها الصغار . فكان الخطر عليها كبيراً من الصيد . ولذلك اقتصر الصيد على الرجال فنشأ مجتمع الرجال

الثانية : أصبحت المرأة ، لعجزها عن الصيد ، ترضى بالاستجابة الجنسية للرجل إذا كان يمنحها شيئاً من صيده ،أى من نصيبه من اللحم مما حصل عليه هو وزملاؤه من الرجال بالصيد . ومن هنا نشأت سلطة الرجل على المرأة . هو يصيد ويأتى باللحم ، وهى تستجيب إليه لما تجد من مكافأة لها بطعام اللحم الذى يعلو على الثمار والجذور التى كانت تحصل عليها بالمضض والعرق

لم يكن الصيد ممكناً للفرد وحده . فنشأ التعاون بين الرجال ، أى المجتمع البشرى

ولم تكن المرأة قادرة على الصيد لأنها حامل،أو لأنها تحمى صغارها

وإذن احتاجت المرأة إلى أن يعولها الرجل بما يصيد

ونشأ البيت . ونشأت العائلة الأبوية . وأصبحت للزوج سلطة

على زوجته ، إذ هو الذى يقيتها

ماهو الصيد ؟

هو أن تقتل حيواناً فينزف دمه ويموت . ثم نمزقه ونأكله

إن كلمة « قتل » هى نفسها كلمة « أكل » عند المصريين القدماء . وظنى أن الكلمتين فى اللغة العربية تعودان إلى أصل واحد . وتقاربهما فى النطق والقلب واضح

ذلك أننا متى قتلنا أكلنا . ولا أكل بلا قتل فى عصر الصيد

هذا هو عصر الصيد الذى يعود إلى ماقبل ١١٤ ألف سنة فى مصر . ولم ينته إلا بعد ظهور الزراعة . ولكن عصر الصيد هذا لايزال حياً إلى وقتنا فى أمم أو قبائل متوحشة . وكان هذا العصر خطوة ارتقائية كبيرة إذ هو أوجد مجتمعاً بين الرجال وأوجد آلات للصيد . وأوجد كلمات جديدة فتقت الذهن وولدت ثقافة بدائية. وأوجد العائلة والبيت

ولكنه كان نكبة على المرأة

ذلك أنه جعل الصيد الوسيلة للقمة العيش . ولما كانت المرأة عاجزة بحملها أو رضيعها أو أطفالها عن الصيد فإن كاسب هذه اللقمة قد أصبح سيداً عليها . ولكن هذه السيادة لم تكن شيئاً خطيراً . وإنما الخطير فى عصر الصيد هذا هو كلمة دم

لم يكن هناك صيد بلا دم ، أى بلا قتل

وحتى إذا فرضنا أن الصيد قد وقع فى أحبولة أو حفرة ، فإنه لن يؤكل إلا بعد أن يقتل وينزف دمه

الدم عند الإنسان فى عصر الصيد كان يعنى القتل ، أى الموت

وإذن أصبح الإنسان فى عصر الصيد يعتقد أن أشأم كلمة يسمعها، وأشأم منظر يراه ،هما كلمة الدم ومنظره . ومن هنا نشأت الدمامة من الدم . والدميم هو قبيح الوجه

ولكن هذا المعنى قد هذب عن أصله . لأن الأصل كان يرجع إلى السحر الذى كان عمدة الثقافة والمنطق عندالإنسان فى عصوره القديمة . فكان الدم شؤماً ونذيراً بالهلاك ، إذا رآه أحد فإنه يجب أن ينتظر سفك دمه وموته أو جرحاً على الأقل

ومن هنا كلمات :الطيرة والشؤم واليمن والفأل . ومن هنا الطلاسم والتعاويذ والتمائم

كانت عقائد السحر تستحوذ على الإنسان القديم وتملأ عالمه بالخوف وكان أعظم مايخافه رؤية الدم فى غير موضعه الذى يجب أن يراه . وهذا الموضع الوحيد هو قتل الحيوان المصيد . ويجب مع ذلك ألا ننسى أن الإنسان الذى كان يشترك فى جماعة الصائدين كان هو نفسه عرضة للقتل بهجوم الحيوان عليه قبل أن تنجح الجماعة فى قتله

كانت كلمة الدم أسوأ كلمة يسمعها الإنسان القديم

ولما كانت المرأة تزورها العادة الشهرية فتنزف دماً يبقى بضعة أيام ، ولما كانت أيضاً تنزف دماً أكثر وقت الولادة ، فإنها أصبحت إنساناً نجساً يجب على جماعة الصائدين من الرجال أن يتجنبوها قبل الصيد ببضعة أيام . بل يجب ألا يروها بتاتاً قبل الصيد ببضعة أيام ، حتى يخرجوا وهم غير متلبسين بشؤم الدم . وإن يكن دم المرأة وليس دم الصيد

ومن هنا كلمات دميم ودمامة ، أو قبيح أو مشؤوم .وقبح أو شؤم

ومن هنا أيضاً ظهرت التعاويذ والرق التى يقولها البدائيون حتى يتطهروا من نجاسة المرأة وحتى يخرجوا للصيد بلا شؤم

وكانت المرأة لهذا السبب تخفى نفسها عن الرجال حتى لا يتشاءموا . وحتى إذا لم يكن عليها دم . إذ مايدرى الرجال بأنها ملوثة بالدم الذى لا يرونه

هذا هو الحجاب فى أول ظهوره

نشأ من دم الحيض والولادة عند المرأة

ولما كانت الولادة تزيد نزف الدم أكثر من العادة الشهرية فإن المرأة مدة الولادة تزيد نجاسة فيها . ولذلك تزيد مدة تجنب الرجال لها

كان الرجال يتجنبون النساء قبل الصيد حتى لاتنتقل عدوى الدم إليهم فينزفوا مثلها . وهم لن ينزفوا إلا بعد أن يقتلوا . وكان خطر المرأة أكبر عليهم مدة الولادة لأن نزفها عندئذ أكبر

هذا هو منطق السحر البدائى . السحر بالعدوى

وشبيه بهذا أيضاً نجاسة الأرملة وحجابها . لأنها ، كما مات زوجها ، يمكن أن تنقل هذا الشؤم إلى أى امرأة أخرى . بل إلى أى رجل يراها . ولذلك روى الزمخشرى فى « غريب الحديث » أن الأرملة نجسة ، مامست شيئاً إلا أفسدته . وهو يعزو هذا القول إلى سيدة عربية

ولذلك نشأت عادة اختفاء الأرملة

أصبحت المرأة ، فى عصر الصيد ، عنوان الدم ، أى شؤماً على الرجال

ومن هنا نشأ الحجاب،أى الانفصال بين الجنسين . ونشأت فكرة النجاسة من الاتصال الجنسى . ونشأت فكرة التطهر بعد هذا الاتصال ، وبعد الولادة ، وبعد الحيض عند المرأة . وعم الحجاب جميع الجماعات التى كانت تعيش بالصيد

وجاء وقت ، عند الأمم القديمة ، كان السحر فيه وقفاً على المرأة . لأن الخوف منها كان أكبر بما تحمل من شؤم الدم المنزوف

فلما ظهرت الزراعة واستغنى بها البشر عن الصيد أدت ممارسة الزراعة إلى اشتراك الرجل والمرأة فى أعمال الحقل وجمع المحصول . فعادت المرأة زميلة الرجل ، ولم تعد خصيصته تنقل إليــه أذى الدم وشؤمه . ولكن لم يلغ الحجاب مباشرة بعد الزراعة لأن للعادات الاجتماعية قوة البقاء مدة ما حتى بعد زوال أسبابها

وكأن الزراعة قد عادت بالبشر إلى العصر الذى سبق الصيد ، حين كانت المرأة وحدها أساس العائلة . ولذلك لانكاد نجد فى مصر ، التى اخترعت الزراعة حوالى ١٢ ألفاً قبل الميلاد ، لانجد أثراً لنجاسة المرأة أو للحجاب . لأن هــذه المدة الطويلة قد أنست الرجال شؤم الدم . وإن كنا مع ذلك مازلنا نجد كلمة واحدة فى لغتهم تعبر عن المعنيين :القتل والأكل . وهــذه الكلمة تعود بنا إلى عصر الصيد . ولا بد أن المرأة كانت وقتئذ نجسة

وقد قوى الحجاب عند العرب وسائر الأمم البدوية ، لأنها بقيت تعيش فى عصر الصيد ولا تكاد تعرف الزراعة . ثم عرفت بعد ذلك الغزو . وشؤم الدم هنا يزيد على شؤمه أيام الصيد ، لأن الغزو يجعل

الغزاة عرضة للقتل أكثر من الصيد

هذا هو الأصل للحجاب

ولكننا بعد أن حجبنا المرأة احتجنا إلى أن نبرر هذا الحجاب تبريراً عصرياً لايعود إلى عادات السحر القديمة ، فصرنا نقول أنها غير ذكية ، أو أنها لاتحسن أعمال الرجال ، أو أنها تسفه فى تصرفاتها ، أو تعجز عن الإيفاء بالعهد. أو نحو ذلك

والذين يقولون هذه الأقوال يجعلون منها أساساً لتبرير الحجاب . وآخر ما قرأت فى ذلك كلمة كتبها كاتب شرقى مصرى من كتابنا قبل بضع سنوات ، هو المرحوم مصطفى صادق الرافعى . فقد وصف أحد مؤلفاته بقوله أنه يقوم موضوعه على « سبب واحد حول فلسفة البغض وطيش الحب ولؤم المرأة » .

وهو يقول فى هذا الكتاب أيضاً : « قيل لحية سامة : أكان يسرك لو خلقت امرأة ؟ قالت : فأنا امرأة غير أن سمى فى الناب وسمها فى لسانها . »

لقد مات هذا المؤلف قبل نحو عشر سنوات . وأعتقد أن الشبان الذين يقرأون هذه الكلمات يشمئزون لسبب واحد، وهو أنهم قد ارتقوا وتطوروا وعرفوا أن المرأة إنسان . ولا يمكن الإنسان فى عموميته ، أن يكون لئيما . لأن وصم المرأة باللؤم هو وصم للإنسانية كلها باللؤم . بل هو وصم للأمومة ، وهى أحسن مافى الإنسانية ، باللؤم

إن الشباب المهذب هو الإنسان الإنسانى الذى يحترم المرأة . ولذلك يستطيع أن يحبها الحب الشريف المقدس . إذ كيف يمكن أن

يحب الشاب فتاة وهو يؤمن « بلؤم المرأة » ؟

لقد وجدت كاتباً أوروبياً يصف حبيبته بقوله :

« يا أخت قلبى » . ووقفت عند هذا التعبير الجميل معجباً ، أتأمل هذا المعنى الحنون وهاتين الكلمتين الرقيقتين

إنه لفرق عظيم بين كاتب يفكر فى المرأة فيذكر الحية والسم ،أو يذكر اللؤم . وبين كاتب آخر يذكرها فيقول : يا أخت قلبى . من منهما الإنسان ؟ من منهما الرجل البار ؟

أيها الشاب المصرى كن متمدناً . وكن عصرياً . وكن إنسانياً . تذكر أخت قلبك ولا تصدق من يقولون لك أن المرأة حية لها سم ، وأنها لئيمة

الرق والمرأة

إذا تركنا عصر الصيد، ثم عصر الغزو، وجدنا عصراً آخر عمل لاحتقار المرأة والهبوط بها إلى ما دون الرجل في الإنسانية، هو عصر الرق الذي لم ينته إلا منذ مائة سنة فقط في أمريكا التي ألغته بعد الحرب الأهلية سنة ١٨٦٠ ثم عمم إلغاؤه في جميع الأمم المتمدنة، والمتمدنة فقط. لأن الرق لا يزال قائماً في الأقطار المتخلفة إلى عصرنا هذا

والرق نشأ من الغزو

ذلك أن القبيلة التي كانت تغزو قبيلة أخرى، وتتغلب عليها، كانت تقتل رجالها أو تستعبدهم، ثم تسبي النساء أي تخطفهن وتبيعهن

والمرأة التي يقتنيها الرجل بعد أن يؤدي ثمنها يستطيع أن يفعل بها ما يشاء. وهو بعيد كل البعد لهذا السبب عن قبول فكرة المساواة بين الجنسين. إذ كيف يتساوى مع امرأة قد اشتراها بخمسين جنيها مثلا ويستطيع أن يبيعها في الغد بهذا الثمن أو بأكثر أو بأقل؟ أنها امرأة مقتناة بالثمن. وهو يعبث بها كما يشاء. ويعاقبها كما يشاء إذا أبت عليه حيوانيته في الاتصال الجنسي لشهواته أو الخضوع المطلق لإرادته

وقد عم الرق العالم القديم كله . ولذلك لانجد كتاباً من كتب الدين إطلاقاً يقول بمنع الرق . وعصر الرق هو ، مع اشمئزازنا من المبدأ الذى نشأ عليه ، يمكن أن يعد طوراً من أطوار الارتقاء البشرى . ذلك أنه أتاح لطبقة صغيرة من الشعب أن تحترف التفكير ،وتجد من الفراغ ما يمكنها من درس السياسة والفن والأدب والحكم وسائر ألوان التمدن

ولولا الرق عند الإغريق والرومان والمصريين لما وجد أرسطوطاليس ، أو شيشرون ، أو أمهوتب

والذى حمل الأمريكيين على إلغاء الرق هو ، إلى جنب أشياء أخرى لاعل لذكرها ، الارتقاء فى اختراع الآلات التى أخذت مكان العبيد فى الإنتاج

وتفشى الإماء ، أى الجوارى ، فى الأمة العربية حط من شأن المرأة كثيراً . ذلك أن الزوج أصبح يقتنى الجارية التى تمتاز على زوجته الحرة بالجمال والشباب . ولذلك كانت هذه الزوجة تخضع الخضوع المطلق له . إذ هى كانت توقن أن المحل الأول فى قلبه ليس لها . وما دام الشأن كذلك فإن المحل الأول فى البيت ليس لها أيضاً . وكثيراً ما كانت تحمل الجارية وتلد فتعود زوجة لها حقوق الزوجات

واحتقار الرجل لجاريته كان ينتقل بالمحاكاة السيكلوجية إلى زوجته الحرة . ثم يعم الشعب كله احتقار للمرأة

احتقار المرأة أيام الرق لم يكن يختلف عن احتقار الزنوج أيام الرق أيضاً

وإذن نحن نفهم الآن أن هناك ثلاثة عوامل عملت لاحتقار المرأة ، هي :

١ ـ شؤم الدم أيام الصيد

٢ ـ شؤم الدم أيام الغزو

٣ ـ سبي المرأة واسترقاقها

وهذا العامل الثالث ، سبي المرأة ، قد أوجد الرق الذى كان شر ما أصاب المرأة . ذلك أن حجاب المرأة أيام الصيد لم يكن ليؤدى إلى أكثر من معنى هذه الكلمة ، أى الاحتجاب . ولكن الرق أدى إلى أن تستحيل المرأة من الإنسانية إلى الأنوثة ، تتبرج لزوجها كما لو كانت أنثى فقط . لأن الأمة ، أو الجارية المسبية ، ثم بعد ذلك المشتراة ، كانت تذل لسيدها وتتهتك له وتلبى جميع شهواته البهيمية وفوق ما يريد . واضطرت الزوجة الحرة إلى أن تباريها فى كل ذلك ، فتبرجت هى أيضاً وتهتكت حتى لا تتفوق عليها الجارية . ومن هنا كان السقوط

هذا السقوط الذى أحال المرأة إلى لعبة للرجل

ولم يتفش استرقاق المرأة فى أوربا مثلما تفشى فى أقطار الشرق . لأن الاقتصار على امرأة واحدة فى الزواج جعل شراء الجارية محظوراً أو كالمحظور . أو هو كان صغير الخطر على الزوجة الحرة ، لأن الزوج كان يضطر إلى الطلاق منها قبل أن يتزوج الجارية . ولم تكن الحال كذلك فى الأقطار الشرقية

بؤس المرأة فى مصر

حدث من مدة قريبة أن شاباً بالأسكندرية انتحل شخصية ضابط بالقوات المسلحة وتقدم إلى إحدى العائلات يطلب الزواج من ابنتها. وأوشك على النجاح، وكادت هذه العائلة أن تسلم بزواجه من ابنتها، لولا أن افتضح غشه واتضح أنه لم يكن ضابطاً. وشرعت النيابة فى التحقيق لابشأن غشه فى الزواج ولكن بشأن انتحاله شخصية ضابط

وهذا البؤس الذى تعانيه العائلات لايقتصر على مثل هذا الشاب الأرعن الذى أوقع نفسه بانتحاله شخصية ضابط. فان الغش يتخذ ألواناً أخرى لاتستطيع النيابة العامة أن تصل إليها. ثم يكون الزواج، ويفتضح الغش بعد الزواج. وعندئذ قد يكون الرضى بالواقع والسكوت على المضض والتستر على الغش

والأصل فى هذا البؤس الذى تعانيه فتياتنا وعائلاتنا هو هذا المجتمع الانفصالى الذى نعيش فيه. فإن مثل هذا الغش ما كان ليمكن أن يحاوله شاب فضلا عن أن يقع ويتم. ذلك لأن الفتاة، فى المجتمعات المختلطة، تعرف خطيبها قبل الزواج وتروح وتغدو معه فى أوساط مختلفة وتقابل

أصدقاءه كما يقابل أصدقاءها، وتسير الأمور على نور فلا يمكن الغش . ثم إن مدة الخطبة تطول وتتعارف العائلتان وتتزاوران جملة مرات قبل أن يتم الزواج

ولكن هذا الغش لا يقتصر على مثل هذا الشاب المغامر الذى ينتحل شخصية ضابط . فإن هناك الخاطبة المحترفة التى تحصل من الخطيبين على أجرها . وهى تكذب وتغش، وليس لها فى شأن الزواج سوى ما تعده من جنيهات وقروش لقاء سعيها ، وهو سعى أكثره كذب وخداع

إن المجتمع الانفصالى الذى مازلنا نعيش فيه إلى حد بعيد يحرمنا السعادة ويفسد زواجنا ، بل يحرض على الغش فى اختيار الأزواج

إنه جناية حية على كل شاب وفتاة

* * *

من مدة قريبة (١٩٥٥) تحدث شيخ للأزهر عن تعدد الزوجات فدحه ودعا إليه

وبعد أسابيع نشرت الصحف خبراً عجيباً هو أن أحد الشبان الأثرياء تزوج ٤٢ امرأة طلق منهن ٤٠ وأمسك اثنتين . واشتبك فى إحدى القضايا التى جعلت وكيل النيابة يقف على هذا الخبر . فلما سأله : لماذا تزوج كل هذا العدد من النساء ، أجاب فى سهولة وبيان بأنه لم يجد مايمنعه وأن هذا حقه

وبكلمة أخرى نستطيع أن نقول أنه يسير على رأى شيخ الأزهر من أن تعدد الزوجات فضيلة . وإن كنت أعتقد أن شيخ الأزهر لم يصل إلى هذا المدى البعيد فى القول بهذه الفضيلة

ولو كان هذا الشاب الثرى قد ارتكب هذا التعدد الزوجى فى قطر أوربى أو أمريكى لما كان جزاءه أقل من الحبس ثمانين سنة

ولكن ليست هذه هى العبرة التى أريد استخراجها

وإنما العبرة أن هذه الإباحة فى تعدد الزوجات يجعل من المرأة المصرية التى تمر بها هذه الظروف إحدى اثنتين : إما مجرمة تسخر من المجتمع المصرى لأنها تعرف كنهه ، وتستغل الأزواج بإثارة شهواتهم دون حبهم ، وتحيا على غش وخداع مرعبين . لأنها بالطبع ستتجر بالزواج عندما تعرف أن زوجها لايتجر به فقط بل يفسق به

واما هى بدلا من ذلك تنتهى إلى الذلة والمسكنة وأنها سلعة يتداولها الرجال لشهوتهم ، وأنها يجب أن تخضع ولا تفكر فى الاستقلال الإنسانى أو الفضيلة الإنسانية أو الثقافة أو الأبناء وإنما تفكر فقط فى المجهود الذى تبذله كى تستبقى محاسن وجهها وجسمها وكى تعرف كيف تربط زوجها بهذه المحاسن حتى لاتكون واحدة من هؤلاء الأربعين المطلقات

وأكاد أسمع القارىء يقول : إن هذه حالة شاذة لايقاس عليها

وهى كذلك بلا شك . ولكن الشذوذ هنا شطط للمألوف وليس خروجاً عليه . وقبل أن نصل إلى أربعين زوجة نجد هناك من يتزوجون العشر والعشرين

ولا يمكن لمجتمع متمدن أن يسكت على هذه الحال . ولا يمكن لامرأة مصرية أن تعد نفسها مستقلة أو أنه يمكن أن تكون لها شخصية مادام سيف التعدد مشهوراً على رأسها

هذا هو مركز المرأة فى مصر

* * *

أصدرت إحدي المحاكم الشرعية حكما فى قضية زوجية يقضى بأن الزوجة التى تحترف حرفة ما خارج البيت لاتصلح لحضانة أبنائها . وأن هذه الحضانة تنتقل عندئذ من الزوجة إلى الزوج

وبالطبع هذا الزوج ليس قعيد البيت ،إذ هو يحترف حرفةفى مكتب أو مصنع . ولكن القاضى لم يبال ذلك . وإنما انصب تفكيره على هذه الزوجة التى تترك البيت وتعمل معلمة أو محامية أو طبيبة أو ممرضة أو عاملة فى مصنع أو كاتبة فى مكتب

هذه المرأة المحترفة المتعلمة يجب ، حين تختلف مع زوجها ومطلقها ، أن ينزع منها أطفالها ويسلموا للزوج

الزوج يحترف حرفة خارج البيت

والزوجة تحترف حرفة خارج البيت

فكلاهما سواء . ومن المنطق أن نقول أن الأم أقدر على تربية الأطفال وأحن عليهم وأرعى لشئونهم من طعام ونظافة وراحة

ولكن القاضى الشرعى لم يبال شيئاً من هذا . فإنه قضى بنزع الأطفال من الأم وتسليمهم ، أبناء وبنات ، إلى الأب . والأم مدرسة تحترف تعليم الأطفال . وهذه حرفة تزيد مكانتها وقدرتها على تربية أطفالها

ما هى العلة لهذه الحال المقلوبة فى مجتمعنا ؟

إن هذا القاضى ليس شاذاً فى حكمه . وإنما هو يحيا فى مجتمع

مصرى اعتاد احتقار المرأة ، وأنها لاتتساوى مع الرجل فى أى حق اجتماعى أو اقتصادى . وما دام الرجل والمرأة يتساويان فى الحرفة خارج البيت فإن الرجل يجب أن يفضل عليها فى تربية الأطفال

وتنساق هذه القاعدة فى كل شأن آخر يتعلق بالجنسين

فهى فى المصنع ، تؤدى عمل الرجل ، ولا تنال أجر الرجل

وهى فى العائلة ، حين يرسل الأبناء والبنات إلى المدرسة ، لاينفق على تعليمها كما ينفق على الأبناء

وهى حين ترتكب جريمة الزنا يقتلها أخوها أوأبوها أوزوجها . وإذا بقيت حية ولم يقتلها أحد هؤلاء فإن المحكمة تحكم عليها بالسجن سنتين . أما الزوج لحين ارتكابه لجريمة الزنا يستطيع أن ينجو من العقوبة مادام ارتكابه لها بعيداً عن بيته . ثم هو قد لايجد من الرجال غير الإعجاب برجولته

شذوذ قهرى

كتب إلى شاب فى سن السابعة عشرة يقول أنه عندما يرى صورة فتى فى سنه أو أصغر منه، أو عندما يقابل أحداً فى هذه السن، يحس برعشة تزلزل جسمه حتى يكاد يغمى عليه

وأنه يتخيل عن هذه الصورة أو هـــذا الشخص اللذين يلقاهما خيالات متعاقبة لها قوة جبرية، إذ لا يستطيع التخاص منها. وهى خيالات الإعجاب العظيم حين يكون هناك مكان لهذا الإعجاب. وهو يقول بالحرف الواحد:

« ومهما يكن من شىء فإنى أشعر بهذا الميل كذلك عندما أكون سائراً فى طريق أو عندما أقابل أحد أصدقائى بصحبة شاب أو شبان معه، أو عندما أكون فى مجلس من مجالس الحديث أو فى اجتماع من الإجتماعات فيقع نظرى على هؤلاء الشبان. . . . فما أشعر؟ . . . أشعر بهذه القوة التى تصعد من نفسى فى حرارة والتهاب. وماذا أجد؟. أجد ذلك الميل القوى العنيف وما تبعه من انفعالات حادة ... إلى هنا لم أدر من أمرى شيئاً. نفس الدافع المجهول ونفس الشىء الغامض

اللذين أحس بهما عندما تقع عيناى على صورة . وإلى هنا لم يصور الخيال شيئاً من تلك الصور الرائعة أحياناً ، والمروعة أحياناً أخرى ، والمترددة بين ذلك ، فى بعض الأحيان . ثم ماذا ؟

« إن قلبى يدق دقاً عنيفاً ويضطرب اضطراباً شديداً ، كل ذلك مثل ومضات البرق المتلاحقة التى لا تكاد تظهر حتى تختفى ولا تكاد تختفى حتى تظهر . . . »

هذه عبارات قليلة من ثمانى صفحات كتبها هذا الفتى الذى لم يكد يتجاوز المراهقة . وهى تدل أفصح الدلالة على أن هذا الشاب يسير فى طريقه إلى الشذوذ الجنسى

وهذا المسكين يسلك هذا السلوك من حيث لا يدرى . وإليك الشرح :

التفت إلى عنوان الشاب فوجدت انه يقطن حياً بعيداً عن الأحياء العصرية فى القاهرة

أى أنه لم يختلط بالفتيات ، لأن الحجاب لا يزال مخيما فى الوسط الإجتماعى الذى يعيش فيه

وانفصال الجنسين تام . فلما بلغ سن المراهقة قبل أربع سنوات شرعت طاقته الجنسية فى التعرف والاستطلاع ، ولكنه لم يجد الهدف الطبيعى لهذا الإستطلاع

وهو لو كان وجده لكانت خيالاته الجنسية جميعها محصورة فى المرأة . أو لو كان قد تزوج فى سن الخامسة عشرة مثلا كما كان يفعل أسلافنا لما حدث له هذا الشذوذ ، ولما احتاج حتى إلى هذه الخيالات

ولكن هذا الشاب لا يدرى أنه شاذ ، ذلك أنه كظم العاطفة الجنسية كظماً عنيفاً حتى كاد ينكرها . ثم تسامى بها فجعل إعجابه بأجسام الشباب إعجاباً بميزاتهم الروحية و الأخلاقية، ولكنه مع ذلك لا يستطيع أن ينكر أنه يعجب بالأجسام

وخلاصة القول أن هذا الفتى نشأ فى بيئة تحرم الإختلاط بين الجنسين ، فاتجهت غريزته نحو البدل . والبدل هنا هو شاب « فى سنى أو أصغر منى » على حد قوله . ولكن هذه البيئة الرجعية التى يعيش فيها ترتفع إلى أخلاق اجتماعية محترمة فهى ترفض الاستهتار . ولذلك يطلى شذوذه بطلاء آخر غير الاستهتار ويزعم أنه إنما يحب الصفات العالية فى الشبان . ولو أن هذا الشاب كان يعيش فى بيئته هذه من قبل مائة سنة لكان قد تزوج وعاش المعيشة السوية

ولكن سن الزواج تتأخر فى وسطنا الإجتماعى ، وهى تتأخر أيضاً فى الوسط الإجتماعى فى أوروبا وأمريكا. ولكن هناك الإختلاط، وهنا الإنفصال . والشاب هناك يختلط بالفتاة فتستقيم خيالاته الجنسية لأنها هى هدفه ، وهو يراها كل يوم بل كل ساعة . ولا يعرف كيف يتخيل شيئاً آخر غيرها ، فهو سوى . ولكن هذا الشاب المصرى لا يجد غير الشبان الذكور فى سنه،فهو ينقل إليهم استطلاعه الجنسى ويتخيل جمالهم. لأنه لا يرى غيرهم هدفاً لغريزته ، وهو لذلك شاذ

ومن هنا نفهم أننا نتبع أسلوباً مخطئاً فى الحياة لأننا نصر على الحجاب فى بعض بيئاتنا، فتكون النتيجة هذا الشذوذ الجنسى الذى ربما ينتهى فى يوم ما إلى حمل صاحبه إلى السجن . ونصيحتى إلى هذا الشاب

هى : احذر أن تسقط فأنت على شفا هاوية وفى طريق الشذوذ الجنسى . وانقل حبك وإعجابك إلى الجنس الآخر وتعرف إلى فتاة واحترمها ، وكن صديقاً شريفاً لها . وإنى واثق أن هذا يشق عليك الآن . لأن خيالاتك لا تمس المرأة من قريب أو بعيد . ولكن تمرن

وهناك مئات بل ألوف مثل هـــذا الشاب قد جنحت غريزتهم الجنسية للإنفصال القائم بين الجنسين جنوحاً خطيراً . وقد استقر هذا الفتى على نوع من «التثبيت» الذى يؤلمه ويؤرقه ، ولكن هناك آلافا غيره قد استقروا على العادة السرية

وليست هذه الحال مقصورة على الشبان إذ هى أيضاً تشمل الفتيات. والفتاة التى تتعلق بفتاة أخرى لا تصلح للزواج إلا بعد مرانة طويلة ومتاعب كبيرة مع زوجها . وكذلك هذا الفتى لا يصلح الآن للزواج إلا بعد مرانة طويلة وتربية جديدة

إننا نعيش فيما يشبه التنـــاقض . ظروف عصرية تطالبنا بالإختلاط ، وتقاليد منحطة تطالبنا بالإنفصال . ونحن لذلك فى تعب بل فى زيغ

يجب أن نعيش المعيشة العملية فى مجتمع علمى تشرف عليه حكومة علمية ، فننفض التقاليد ونأخذ بالبدعة

هذا إذا شئنا ألا نعيش مجانين أو زائغين

وأجب أخيراً أن أنبه إلى أن حب الشاب فى سن المراهقة أو بعد ذلك بقليل لشاب آخر فى سنه يكاد يكون طبيعيا فى جميع البيئات . ولكن سرعان ما ينتقل هذا الحب إلى الجنس الآخر فى المجتمع المختلط .

أما فى المجتمع المنفصل فإنه يثبت . ومحال أن نعيد الشاب إلى الإستقامة الجنسية إلا إذا اختلط بالجنس الآخر . فإنه لن يعرف الجنس الآخر من الكتب أو الصحف ، لأن المعرفة الحقة الوحيدة هى الاختلاط بالفتاة . هذا الإختلاط الذى يعتقد الرجعيون ، نكبة بلادنا ، أنه رذيلة ، مع أنه لباب الشرف وصميم الأخلاق الإجتماعية العليا

جريمتنا نحو المرأة

عندما نبلغ سن الستين أو السبعين نجد إحساساً آخر نحو الأشياء والناس ، ونحس وجدانا آخر للمروءة والشرف والإنسانية أكثر مما كنا نحس قبلا . وبكلمة أخرى نجد أن لنا من القيم والأوزان ما يمكن أن نسميه حكمة

وهذه الحكمة إنما هى ثمرة هذا العمر الطويل وما مر بنا من الأحداث ، وما كسبنا من التأمل والتفكير فيها ، وما وقع بنا من كوارث استخلصنا منها العبرة والدلالة . ذلك أننا نعيش فى مجتمع نصطدم بناسه ومصالحه ومؤسساته ، ونمارس فيه مصاعب العيش ، ونتحمل مسئوليات الحرفة . فنتعلم ونتربى

وليس التعلم والتربية أن نتتلمذ فى المدرسة أو نقضى خمس أو ست سنوات فى الجامعة . لأن قصارى ما نحصل عليه فى المدرسة والجامعة لا يعدو أن يكون تعلما ، وهو تعليم للمعرفة ، أى أنه ليس تربية للسلوك والتصرف وتعيين الهدف فى الحياة

وتستطيع أن تسأل أى إنسان فى الخمسين من عمره ، من خريجى

الجامعات ، كيف كان فور خروجه من الجامعة وحصوله على شهادتها ؟

كان إنساناً خاماً . وكان يصطدم بالمجتمع مرة بعد أخرى لجهله ، ولكنه كان يتربى من هذه الاصطدامات . وهو لا بد مخبرك بأن ما كسب من حكمة وسداد ، وصحة للنفس ، واتجاه حسن ، إنما كسبه من المجتمع وليس من الجامعة .

المجتمع يربينا ، ويكون شخصيتنا ، ويعين أهدافنا ، ومنه نأخذ الميزان الذى نزن به القيم . فنقول : هذا فضيلة ، وهذا رذيلة

ونحن فى المجتمع نحترف حرفة ما نرتزق بها ، أى نأكل منها لقمة العيش . وهذه الحرفة تضطرنا إلى أن نحسن مهارة معينة، وإلى أن ننتج شيئاً يحتاج إليه المجتمع ، إما سلعة وإما خدمة . وهذا الإنتاج وحده ، وليس شيئاً آخر غيره ، هو الذى يكسبنا معانى الفضيلة والرذيلة ، والفرق بين الرجل الصالح والرجل الفاسد ، ومعانى المروءة والشرف والإنسانية

نحن الرجال ، بالحرفة وبالاختلاط بالمجتمع ، نتعلم ونتربى . فنقصد إلى مكاتبنا أو مصانعنا أو مزارعنا فى مواعيد نواظب عليها . ونسأل ونستفهم عن الحرف والصناعات من حيث ما تحتاج إليه من مجهود ، أو ما يعين لها من مكافأة . ونسمع عن اختراع جديد فنقبل عليه . أو عن سلعة جديدة فنتجر بها . ولذلك نهتم بالحرية والشرف ، لأن لها قيمة فى أنفسنا ، من حيث أن غيابهما أو إفسادهما يؤذينا فى عيشنا وإحساسنا وضميرنا

واختلاطنا بالمجتمع يحملنا على الاهتمام بالسياسة والعلم والأدب لأننا

نجد أن حياتنا متصلة بكل هذه الأشياء لاتصالنا بالمجتمع .

ما الذى نعنى حين نقول : أنه يجب أن تكون لنا أهداف إنسانية ؟

نعنى أننا يجب أن نهتم بالعدل والكرامة والسلم والسياسة . ويجب أن نقرأ الجرائد لهذا السبب . ومرجع هذه الاهتمامات جميعها أننا من المجتمع ، وفى المجتمع. لنا عواطفه ، ونختلط به ، ونحترف فيه حرفة منتجة . أى لنا إحساس اجتماعى

فضائلنا جميعها اجتماعية ، والرجل الذى يحيا فى الصحراء منفرداً لا يمكن أن يكون فاضلا أو رذلا ، عظيما أو دنيئاً ، عادلا أو ظالما . لأن هذه الصفات جميعها هى صفات اجتماعية . صلة الفرد بالمجتمع

فإذا حرمنا إنسانا الاختلاط بالمجتمع ، والإنتاج للمجتمع ، فإننا بذلك نحرمه الإحساس الاجتماعى بكل ما يحمل هذا الإحساس من مسئولية وفضيلة وشرف وإنسانية

وهذا هو حال المرأة كما نعاملها الآن . اننا نفرض عليها الانفصال من المجتمع بالبقاء فى البيت . فكأنها هذا الرجل الذى قلنا أنه يعيش فى الصحراء . وصحيح أنها لم تبلغ مبلغه فى الانفراد ، لأنها تحس شيئاً من المسئولية والشرف والمروءة بقوة الخدمة والاختلاط فى بيتها ، بينها وبين زوجها وثلاثة أو أربعة أبناء وبنات

لكن إحساسها هذا ناقص ، إذ هو محدود بجدران البيت . ولذلك لا تحس ما نحسه نحن الرجال من المسئولية واليقظة والقيم الاجتماعية . وبكلمة أخرى هى ، بالمقارنة بنا ، إنسان ناقص فى تربيته

وعندما أقول بضرورة منح المرأة حق الانتخاب والترشيح للبرلمان، لا يدفعني إلى هذا الطلب إحساس الانصاف نحوها قدر إحساسي بأن هذه المسئولية الجديدة ستجعلها تهتم بالمجتمع، فتزيدها يقظة، وتحملها على درس السياسة وقراءة الصحف والكتب. أي تزيد إنسانيتها

ما هي هذه الدنيا التي نحيا فيها سبعين أو ثمانين سنة؟

هي المعارف التي تنبه ذكاءنا، وهي الكوارث التي تكسبنا حكمة العيش، وهي الاستمتاعات التي نستمتع بها ونحن أطفال ثم شبان ثم كهول ثم شيوخ. وليس من حق أحد أن يحرمنا معارفنا أو كوارثنا أو استمتاعاتنا، سواء في ذلك الرجال والنساء

وإذا كنا نقول أنه على الرجل أن يكون حكيما، فأننا يجب أن نقول أنه يجب أن تكون المرأة حكيمة

وهي لن تكون حكيمة إذا حرمناها معارف الدنيا واختباراتها، سواء منها ما يسر وما يؤلم. ونحن ننقص إنسانيتها بالقدر الذي ننقص به معارفها واختباراتها

وهناك آلاف الجهلاء من الشبان والكهول الذين أفسدهم المجتمع بعاداته وتقاليده. وهم يخفون جهلهم بطلاء من الإحساسات الكاذبة والكلمات المبهرجة حين يقولون مثلا أنهم يحمون المرأة، وهي الرقيقة اللطيفة، من أقذار المجتمع ومشاق العيش

ويتضح هذا الكذب في الإحساس حين نعرف أن مشاق البيت للمرأة أكثر من مشاق الحرفة للرجل. وأن تنظيف المطبخ والمرحاض وغسل ملابس الأطفال ليست على الدوام من الأعمال الخفيفة الرقيقة

ثم هم يجهلون أن الإنسان ليس سلعة تبلى بالاستعمال ، كأنها كرسى أو مائدة أو بساط أو سرير قد رثت بمرور السنين . وإنما هو ينضج ويبلغ الحكمة والسداد كلما زادت اختباراته ومعارفه . ولذلك أيضاً يؤثر الرجل الحكيم الزواج من الأرملة التى خبرت الزواج سنتين أو عشر سنوات على الزواج من العذراء التى لم تخبر الزواج . وهو يسلك هذا السلوك لأنه يعرف أن المرأة إنسان يزداد حكمة وقيمة بالتعليم والتربية ، وأن الجهل لا يمكن أن يكون فضيلة

والواقع أن أعظم ما يؤخر المرأة فى عصرنا هو التقاليد ، هذه التقاليد التى جعلت الزمخشرى يقول فى كتابه « غريب الحديث » فى صفحة ٢٧٣ أن الأرملة مبغوضة « إذا مست شيئاً أتلفته »

وقد يوهم اسم الكتاب أن هذه العبارة منقولة عن حديث نبوى . ولذلك أسارع بالنفى ، لأن الزمخشرى قد نقلها عن إحدى السيدات

وهذه العقيدة عن الأرملة قد عمت الأمم القديمة . وبلغت أوجها من الخسة البشرية فى الهند حين كانت الأرملة تحرق عقب وفاة زوجها

وكلنا كما يقول اناطول فرانس « يولد وله لحية

أى أننا نولد ونحن نحمل من التقاليد القديمة أعباء تجعلنا شيوخاً ونحن فى المهد . ومن هذه التقاليد احتقارنا الأرملة التى تعد خير طراز للمرأة ترشح للزواج . ومنها أيضاً احتقارنا للمرأة ، كائنة ما كانت ، عذراء أو متزوجة

وأستطيع أن أؤلف كتاباً كاملا عن الأصل أو الأصول السحرية

التى جعلت الإنسان القديم ، الذى نرث نحن الآن تقاليده ، يفصل المرأة عن المجتمع ، ويستنجس الأرملة ، ويحجب الزوجة . وليس هنا بالطبع مكان هذا البحث

وقصارى ما أقول أننا نعامل المرأة فى أيامنا بحكم التعاليم السحرية القديمة . وكل ما بيننا وبين أسلافنا الذين ماتوا قبل عشرة آلاف سنة أنهم كانوا يقولون أنها نجسة . وأما نحن فنقول أنها رقيقة لطيفة يجب أن نربأ بها عن مفاسد المجتمع . والنتيجة واحدة فى الحالين ، وهى استبعادها عن النشاط الاجتماعى والثقافى والإنسانى

إن للمرأة ، كما للرجل ، حقاً فى أن تحيا حياتها كما تريد . وان لها حقاً فى التطور . وقصر حياتها على البيت هو إلغاء لإرادتها ، كما هو تعطيل لتطورها

أن ما تفهمه المرأة المصرية فى عصرنا من الشرف هو الشرف الجنسى، ولكننا نحن الرجال نفهم أيضاً معانى الشرف الأخرى فى السياسة والصناعة والتجارة والأدب والاجتماع

ونحن الرجال نصوغ حياتنا كما نشاء . ونختار الأسلوب والهدف . أما هى فقد حرمت ذلك

ونحن الرجال نحيا فى المجتمع ، وهو بيتنا الكبير ، بكل مركباته التى تثير أذهاننا وتربينا وتحركنا إلى التضحية والعظمة . هو مدرستنا . هو جامعتنا

أما هى فتحيا فى البيت . ولا تقل ان فى البيت سعادتها ، لأنى لا أحترم المرأة لأنها سعيدة ، ولكن لأنها حكيمة رشيدة . وهذا

على فرض أن السعادة تغمر البيوت ، لأن الواقع غير ذلك . وهو ما تخبرك به كل زوجة وكل أم

والآن أسمع سؤالك : ماذا تريدبالبيت ؟ هل تريد أن تترك المرأة بيتها كى تتعلم وتترقى فى المجتمع ؟

وجوابى أن البيت « يجب » أن يكون أجمل المؤسسات وأنفعها فى حياتنا . ويجب أن يكون بؤرة المجتمع . ويجب أن يحتوى أعضاءه من الزوج والزوجة والأبناء ، فى جو من الحب والشرف . ويجب على كل شاب وكل فتاة أن يبنوا البيوت مادة وروحاً ، منزلا وعائلة

ولكن مشكلة البيت لا تعود مشكلة إذا نحن نظرنا للمرأة نظرة المساواة بالرجل . بحيث تتعلم مثله ، وتتكون شخصيتها مثله ، وتحترف إذا شاءت مثله ، وتدرس وتختبر حتى ترتقى وتتطور مثله ، وتشترك فى وظائف الدولة مثله

ومقامها الجديد هذا هو الذى يعين طراز البيت الذى تعيش فيه بحيث يتفق واهتماماتها الأخرى . فقد نعمم القوة الكهربائية فى جميع أعمال البيت طبخاً وغسلا وكنساً وتبريداً . فلا يكون هناك من المشاق ما يحتاج إلى أن تقصر الزوجة حياتها على المنزل . لأن بضع دقائق عندئذ تكفى للطبخ . وأقل منها يكفى الشؤون الأخرى . أو قد تكون هناك حلولا أخرى للطبخ والغسل

أننا نجرم حين نعين للمرأة ، هذا الإنسان الذى احتاج إلى ألف مليون سنة كى يصل إلى حاله الحاضرة ، ألوان النشاط الذى يجب أن تؤديه . وحين نحرمها ألواناً أخرى لمحض الاستبداد وحكم التقاليد

المرأة الغربية والمرأة المصرية

يختلف « الشرقيون » من الغربيين فى كثير من الاعتبارات والشئون الإجتماعية . فإن الشرقيين يمارسون على وجه عام الزراعة ، فى حين يمارس الغربيون على وجه عام الصناعة

ويختلفون أيضاً من حيث أن الشرقيين « روحيون » . أما الغربيون فماديون . ولكننا عندما نحاول توضيح الفرق أو الفروق بين الروحية والمادية ، فإننا نقع فى ارتباكات ذهنية لا تحصى . ونخرج من المناقشة لهذا الموضوع ونحن نتساءب ونتثاءب

ويختلفون أيضاً من حيث أن الشرقيين على وجه عام يحمون المرأة ، ويحوطونها بأسوار من الرعاية ، بحيث لا تعمل خارج البيت ، ولا تكسب مع الرجال للعيش . أما الغربيون فيكلفون المرأة العمل والكسب إلى جنب الزوج

والاختلافات كثيرة قد عددنا منها ثلاثة . ونستطيع مع ذلك أن نذكر أيضاً اختلافاً رابعاً خطيراً هو أن الغربيين ، على وجه عام أيضاً ، يتسلطون على الشرقيين وينتزعون منهم القطن والكاوتشوك

والقصدير والبترول . ويضربونهم إذا ثاروا أو تمردوا

هذه أربعة اختلافات تستحق الدرس . وعندى أن بؤرة هذه الاختلافات جميعها تنحصر فى أن الغرب يمارس الصناعة فى حين أن الشرق يمارس الزراعة . وأن الشرقيين لو عقلوا لآثروا إنشاء مصنع على تأسيس جامعة . ولكنى أترك هذا الموضوع كى أتناول موضوعاً آخر ، هو اختلاف النظرتين للمرأة

المرأة المثلى عندنا هى الخادرة أو المخدرة ، التى نحبها ونرفع من شأنها ، إلى حد أننا نربأ بها عن أن تعمل كما يعمل الرجال ، فتصطدم بالحوادث ، وتتلوث بأدران المصنع ، وتلهث وراء الآلات ، وتختلط بالرجال وتتحدث إليهم وتباريهم فى الصبر على الجهد والتدبير للمستقبل . أجل اننا نربأ بها عن أن تكون تاجرة أو صانعة أو نائبة أو وزيرة . ذلك لأننا نحب أن تبقى مرتاحة فى البيت ، لا شأن لها بالفلسفة والسياسة ولا بالكسب أو المزاحمة

ونحس ، نحن الرجال الشرقيين ، أننا يجب أن نحوط المرأة بالرعاية والحماية . وبعض منا نحن الشرقيين يبالغ فى احترامه للمرأة ، حتى أنه يحوطها بجدران البيت فلا تخرج منه طوال عمرها ... من ليلة العرس إلى ليلة المأتم . وهذه عناية أقصى العناية ، وحماية أقصى الحماية على الأسلوب الشرقى

ونتيجة هذه العناية أو الحماية العظمى أن المرأة الشرقية تخدر فى البيت . وتعود خادرة ، أى مخدرة . فلا تعمل ولا تفهم أن للحياة هدفاً وأنها تحتاج إلى منهج . لأن هذا من شؤون الرجال وحدهم .

أما هى فلها نعيم الراحة وخلو البال

ولكن هذه الراحة ، هذا البال الخلى ، هما علة الركود الذهنى الذى ينتهى إلى التبلد والتجمد . وعلة الركود الجسمى الذى ينتهى إلى التضخم والترهل . ولذلك نحن الرجال هذه الأيام فى قلق عظيم عن مصير العالم . كلما قرأنا أخبار كوريا تفززت أعصابنا . وكلما رأينا أثمان القطن تذكرنا أزماتنا. نحن الرجال نقرأ و نعمل ، ونختلط بالمجتمع،وتصدمنا الحوادث وتنزل بنا المصاعب ، فنتعب ونتألم . ولكن المرأة المصرية الشرقية لا تتعب ولا تتألم

لنا نحن الرجال آفاق وآمال ، نقتحم الأخطار ونتعلم منها . أما هى فمخدرة قد حدت جدران البيت وشئونه من آفاقها وآمالها

المرأة المصرية الشرقية هى إنسان بلا أخطار . هى إنسان بلا حوادث . هى إنسان بلا تربية . لأن الذى يربينا نحن الرجال هو الأخطار والحوادث

أما المرأة الأوربية فتعمل وتجهد . وتتبذل فيما لا تتبذل فيه المرأة الشرقية . وهى منتجة فى الصناعة والزراعة والتجارة والتعليم . وهى تصطدم بالدنيا وكوارثها ، وتشترك فى الانتخابات ، وتجادل وتناقش فيتنبه ذهنها . وقد تتلوث يدها من العمل . ولكنها إذا عادت إلى بيتها تخلصت من هذا التلوث . أو هى لا تباليه . لأنها لا تعد نفسها ريحانة الرجل ، إذ هى مستقلة لها منهج وهدف فى الحياة . أجل انها ليست لعبة الرجل

هى إنسان قد خلق للمتعة والكارثة. وهى تحيا على المستوى العالى ،

أى هذا المستوى الاجتماعى الذى نحيا نحن الرجال عليه فى مصر .
مستوى التجارب والكوارث والمتع والاختبارات
ثم هى منتجة
تأمل هذه الكلمة أيها القارىء وافهم عبرتها . كلمة منتجة
عندما تكون فى لندن أو باريس أو نيويورك أو روما عائلة مؤلفة من والدين وثلاث فتيات قد تجاوزن الثامنة عشرة، فإنك تجد أن الخمسة يكسبون . أو على الأقل أربعة ، يكسبون . لأن الأم قد تلزم البيت لخدمتهم

أما فى مصر فإن مثل هذه العائلة لا يعمل فيها غير الأب. ولذلك فإن دخله من عمله الفردى لا يكاد يكفى زوجته وبناته الثلاث . فهم يعيشون فى عسر . وإذا وقع الأب فى البطالة فإنهم يعيشون فى جوع

أما إذا وقع الأب الأوربى أو الأمريكى فى البطالة فإن زوجته تعمل وتكسب ، وبناته الثلاث يعملن ويكسبن . فلا جوع ولا عسر

وإنتاج الشرقيين لهذا السبب دون إنتاج الغربيين . هم يعملون وينتجون رجالا ونساء . أما نحن فلا ينتج عندنا غير الرجال . وعلينا نحن الرجال أن نعول النساء والفتيات . وكثيراً ما نعجز عن ذلك . وكثير من فاقتنا السوداء ، وبيوتنا البدرومية ، ونحول أجسام أولادنا ، وتفشى البلاجرة بين فقرائنا ، يعود إلى هذا . إلى أن المرأة غير منتجة . ونحن لا نعلمها ولا ندربها على الإنتاج ، ولا نلحقها بالمصنع أو المتجر كى تكسب

وبالإيجاز نقول أن النظرة الغربية للمرأة هى أن تعمل وتنتج وتكسب كالرجل سواء . وأنها يجب ألا تلتزم البيت إلا وقت المرض أو الولادة . وعليها أن تخرج وتتعب وتعرق وتلهث وتصطدم بالدنيا وتتعلم من كوارثها

ويجب أن تقع الكوارث بكل إنسان ، لأنها ما دامت لا تقتلنا فإنها تعلمنا . هى تجربة نزداد بها خبرة وحكمة ، أى نصير بها حكماء . والإنسان بلا كوارث هو إنسان أخضر ، فج ، ناعم ، بليد ، جاهل

ولكن هذا الإنسان الأخضر الفج الناعم البليد الجاهل هو ما يريد الشرقيون لنسائهم . فهم يحمونهن فى البيت ، ويربأون بهن عن التلوث بأدران المجتمع . وهذه الحماية تحميهن من الكوارث ، من التجارب ، من الذكاء المدرب والعقل المفتوح ، واكتساب الحكمة والبصيرة

ان الغربيين يعرفون أن الإنسان ليس كرسيا نقعد عليه فيبلى . وإنما هو جسم حى ينمو ويتعلم ويتدرب بالحركة والتفكير والجهد ، ولذلك جعلوا نساءهم يعملن ويكسبن . وأشركوهن فى الحكم والقضاء والتعليم والسياسة والعلوم والفنون

أما نحن فإننا نحميهن فى البيت حتى لا يتلوثن بالمجتمع ، مع أن هذا المجتمع هو الذى نختلط به نحن الرجال فيربينا ويكسبنا القيم الإجتماعية التى يسميها بعضنا روحية

لقد ذكرت فى بداية هذا المقال أربعة اختلافات أو فروق بين الشرقيين والغربيين ، وأحصيت منها ذلك الفرق أو الاختلاف المهين ، وهو أن الغربيين يتسلطون على الشرقيين وينتزعون منهم القطن

والكوتشوك والقصدير والبترول ، ويضربونهم إذا ثاروا أو تمردوا .

والآن أقول أنه لو كانت المرأة تعمل عندنا وتكسب ، ولو كنا نمارس الصناعة ، لما استطاع الغربيون أن يضربونا أو يتسلطوا علينا

يجب ألا نكون شرقيين . ويجب أن نوقن بأن هذا التفريق بين الشرق والغرب هو تفريق استعماري يراد منـــه سيادة الغرب على الشرق

كلنا بشر لا نختلف إلا من حيث الرقي والإنحطاط.

الذكاء والعبقرية والمرأة

التفاوت فى مقدار الذكاء بين شخص وآخر حقيقة نلمسها كل يوم ونسلم بها . وهذا التفاوت طبيعى واجتماعى

فأما التفاوت الطبيعى فهو ما نولد به ونرثه من عائلتنا ، أى من الأبوين . وأيضاً من أسرتنا ، أى من الأرومة التى نشأنا منها وتحتوى أعمامنا وأخوالنا وجدودنا . وأدنى دراية بالوراثة تبين لنا تأثير الأسرة فى كفاءة الفرد الذى ينتمى إليها

ولكن الذكاء الذى يبدو فى سلوك الناس إنما يعود إلى اسباب اجتماعية أكثر مما يعود إلى الأصول الطبيعية . وهذا هو موضوعنا

الذكاء اجتماعى ينشأ من الاختلاط بالمجتمع . ومن كلمات اللغة التى يستعملها هذا المجتمع ، ومن الاشتباكات فى شئونه ، والاهتمامات بمصالحه ، ومن المصادمات التى نلاقيها حين نحاول أن نلائم بين رغباتنا وبين قواعده وقوانينه وعقائده . وعلى قدر هذه الاشتباكات والاهتمامات والمصادمات يكون ذكاؤنا بل عبقريتنا

وليس أسهل من أن تبرهن على صحة ما نقول . إذ يكفى أن نفرض

أن هناك شخصاً موهوباً بالمواهب الطبيعية فى الذكاء قد ولد وعاش فى صحراء، منفرداً بلا مجتمع وبلا لغة. فأين يكون ذكاؤه الطبيعى ؟

أنه لايعرف اللغة. وهو لذلك لايستطيع التفكير إلا بمقدار ضئيل جداً. ذلك لأن الكلمات أفكار. ونحن نتفاهم (أى نفهم) بالكلمات

ونستطيع أن نقول، لهذا السبب، أن الفهم اجتماعى. وأنه على قدر اختلاطنا بالمجتمع يكون فهمنا وذكاؤنا، بل تكون عبقريتنا

إذن من هو العبقرى ؟

عندما يكون أحدنا عبقرياً فى موضوع معين، يفكر فيه ويفتق فى معانيه ويبتكر ويغير، فإنما يفعل كل ذلك لأنه تعمق هذا الموضوع، أى اهتم به واشتبك فى تفاصيله وتردد بين مشكلاته. وما نسميه موضوعاً علمياً أو أدبياً أو فنياً إنما هو فى النهاية موضوع اجتماعى، إذ ليس لكل هذه الأشياء أية دلالة إلا من حيث ارتباطها بالمجتمع. ونحن لا ننشط إلى بحثها إلا بحوافز اجتماعية

وإذن الرجل العبقرى هو الرجل الذى اهتم بالمجتمع واشتبك فى مشكلاته أكثر من غيره. فتفتقت له معان من هذه الاشتباكات أكثر من ذلك الذى لم يشتبك والذى يعد، بالمقارنة إليه، كأنه فى صحراء

الذكاء والعبقرية هما صفتان اجتماعيتان. ونحن أذكياء ونحن عباقرة بقدر اهتمامنا بالشئون الإجتماعية التى نشتبك فيها ونحاول حلها ونكافح بآرائنا وعواطفنا فيها

اعتبر رجلا قد ولد بمواهب طبيعية ممتازة. ولكنه، لسبب ما، منكفئ محجم لا يشتغل بشئون المجتمع. فهو هنا لا يبلغ فى الذكاء

ما يبلغه رجل لم يوهب مثله تلك المواهب الطبيعية ولكنه اشتبك بشئون المجتمع واهتم بها

أننا كثيراً ما نجد شاباً أو فتاة على ذكاء طبيعى كبير . والفحص عن قيمة هذا الذكاء أو مقداره سهل . ولكننا عندما نترك هذا الفحص الابتدائى للكفاءة الوراثية البيولوجية ، نجد مثلا أن هذا الشاب أو هذه الفتاة لم يبديا أى نشاط يدل على ذكائهما . بل أنهما حين يعالجان موضوعاً من الموضوعات العامة يبدو عليهما القصور الذى يقارب الغفلة . فما هو السبب ؟

السبب أن كلا منهما قد نشأ فى قيود نفسية وذهنية داخلية جعلت الخوف يشل ذهنه . ونحن نسمى هذا الخوف حياء أو وقاراً . ولكن هذا الحياء أو هذا الوقار هو فى صميمه خوف من التفكير والتعبير . أى أنه قيد لحرية التفكير والتعبير

ذلك أن هناك عادات وقواعد وتقاليد تحول بيننا وبين التفكير الحر ، أى التفكير السلس الذى يمضى فى طريقه بلا عقبات . وأحياناً يمنعنا الخوف من العقوبة من التفكير الحر

اعتبر الزنوج مثلا فى أفريقيا الجنوبية

فإن البيض يقولون عنهم أنهم سلالة منحطة من البشر لا يحسنون التفكير . أى هم أغبياء

وهم صادقون فى اتهام الزنوج بالغباوة ، ولكن ليس مرجع هذه الغباوة أن مواهبهم الطبيعية (التى ولدوا بها) ناقصة . إذ هم لا يختلفون فى الذكاء «الطبيعى» عن الأوربيين ، وإنما هم غير أذكياء لأنهم نشأوا

وحولهم أسيجة تحول بينهم وبين الاهتمام بالشئون الاجتماعية والسياسية العامة . فحين تكون الانتخابات ، للمجالس البلدية أو البرلمان ، لا يكون لهم رأى . وإذن هم لا يفكرون فى هذه الشئون . ثم هم يمنعون من التعليم الجامعى الذى يرفعهم إلى اهتمامات اجتماعية . وهم أيضاً لا يحصلون على المقدار الكافى من النقود التى تبعث فيهم الاستطلاع بالاستمتاع فى شئون مختلفة . وتنتهى حالهم إلى أن يضعوا هم أنفسهم أسيجة داخلية يمتنعون بها عن التفكير ، أى أنهم يعطلون ذكاءهم

السياج الخارجى الذى وضعه الأوربيون لمنعهم من الاهتمامات الاجتماعية يؤدى إلى إقامة سياج داخلى يمتنع به الزنوج عن هذه الاهتمامات طلباً للسلامة .

وهم فى كل ذلك يخافون البيض . وليس مثل الخوف عامل يشل التفكير ويحطم الذكاء . كما ليس مثل الحرية والشجاعة عامل يبعث التفكير وينبه الذكاء .

وليس للزنجى ، فى أفريقيا الجنوبية ، شخصية . ولا يمكن أن تكون له عبقرية . لأن الشخصية والعبقرية اجتماعيتان . وحين نحرم الزنجى النشاط الاجتماعى نحرمه أيضاً هاتين الميزتين .

ولكن ليس من الضرورى أن نكون زنوجا محرومين كى تتبلد أذهاننا . لأن بيننا كثيرين قد استقر الرق فى قلوبهم وعينوا لأنفسهم حدوداً لا يتخطونها فى التفكير الاجتماعى أو الفلسفى أو العلمى أو الأدبى أو الاقتصادى . وهذه الحدود هى أسيجة داخلية تعوقهم عن الوصول إلى الذكاء فضلا عن العبقرية .

على قدر اهتماماتنا واشتباكاتنا بالمجتمع فى نظمه المختلفة ، وفى علومه وآدابه وفنونه ، وعاداته وعقائده ، وثروته واقتصاده ، وممكناته وتاريخه ، تكون قدرتنا على التفتيق فى كل هذه الأشياء . أى يكون ذكاؤنا بل عبقريتنا

وأيما حدود تفرض علينا من الخارج ، أو نفرضها نحن على أنفسنا من الداخل للتخوف أو الوقار أو الحياة ، حتى لا نبحث هذا الموضوع أو لا نتساءل ونستطلع ، هذه الحدود تعطل ذكاءنا وتلغى عبقريتنا

وهذا هو حال المرأة فى جميع الأمم

وصحيح أن هذه الحدود قد حطم الكثير منها فى الأمم الأوربية والأمريكية وبعض الأسيوية . وأصبحت المرأة تستمتع بقسط غير صغير من الحرية . وبذلك بدأ ذكاؤها كما أصبحت لها شخصية

ولكنها لا تزال بقوة التقاليد والعادات الإجتماعية تقيم هى انفسها حدوداً داخلية تمتنع بها عن الكثير من النشاط الإجتماعى . وبذلك تحد من ذكائها

وفى نظمنا الإجتماعية تخاف المرأة أكثر من الرجل . وهذا الخوف يشل تفكيرها ويجعلها تحجم وتتراجع ، فى حين يقدم الرجل ويجرؤ

لقد نالت المرأة حريتها الخارجية فى أوربا ، ولكنها إلى الآن لم تحقق حريتها الداخلية . وهى هنا مثل المرأة المصرية التى تحررت عملياً من الحجاب المنزلى ، ولكنها لا تزال ، نفسياً واجتماعياً ، فى الحجاب

والمرأة لذلك أقل ذكاء من الرجل

هى أقل ذكاء لا لأن مواهبها الطبيعية الوراثية تنقص عن مواهب

الرجل . وإنما لأنها تخاف أكثر منه بحكم الأوضاع الإجتماعية . وأيضاً هي تحيا في قيود وأسيجة ذهنية نفسية تحد من تفكيرها

أن الذكاء اجتماعي . وعلى قدر اختلاطنا واهتمامنا بالمجتمع نفتق في معانيه . ولكن المرأة التي حرمت هذا الاختلاط، وهذا الاهتمام، قد حرمت أيضاً هذا التفتيق في المعاني الإجتماعية ، وعطل ذكاؤها ، ولم تكون لها شخصية لهذا السبب

ونحن حين نحدد نشاط المرأة بالبيت نحدد أيضاً ذكاءها . إذ ما هي شئون البيت ؟ هل هذه الدائرة المنزلية والاهتمامات المتعلقة بمصلحة أربعة أو خمسة أشخاص تكفي لتربية الذكاء ؟

ان المقارنة السريعة بين سيدة تؤدي عملا تجارياً أو مالياً أو حكومياً أو صحفياً أو تعليمياً ، بامرأة لا تؤدي غير الواجبات المنزلية توضح لنا الصفة الإجتماعية للذكاء . إذ على قدر الاختلاط بالمجتمع يكون الذكاء . وعلى قدر الحرمان يكون التبلد

وكذلك الشأن فيما نسميه « شخصية » . فإنما تكبر الشخصية بمقدار ما يتناول الشخص من ارتباطات ومسئوليات اجتماعية وبمقدار ما يهتم بالسياسة والاقتصاد والإرتقاء العام . وشئون المنزل لا تكفي لإيجاد الشخصية الناضجة لهذا السبب

وعندما يقول أحد أن المرأة أقل ذكاء من الرجل أجدني أصدقه . ولكن امتياز الرجل عليها يعود إلى أنه يعمل في مجتمع تتعدد مرافقه ومعارفه على آفاق رحبة تزيد اختباراته ، بينما هي تعمل في مجتمع البيت تخدم خمسة أو ستة أشخاص ، فاختباراتها ومعارفها محدودة

ولذلك أيضاً نجد فى مصر محاميات وطبيبات ومعلمات وموظفات بالحكومة والبنوك والمتاجر لكل منهن شخصية تتمتع بذكاء وأحياناً بعبقرية كالرجال سواء . لأنها اختبرت المجتمع وانتفعت باختباراتها منه مثل الرجل .

لأن الذكاء والعبقرية والشخصية صفات اجتماعية أكثرمما هى ميزات طبيعية موروثة . بل لا يكاد يكون للميزات الوراثية غير أقل الأثر فيها

ان الذين اتصلت حياتهم بحياة المسجونين ، وأمضوا مدداً طويلة فى السجون فى بعض وظائفها ، يتهمون هؤلاء المسجونين ببلادة الذهن ووحشية الاحساس . ولذلك نجد أن السجان يقسو عليهم ويغلظ فى معاملتهم اعتقاداً بأنهم من الحيوانات وليسوا من الناس،وأنهم كذلك لفطرتهم التى ولدوا بها . وبعيد أن تجد سجاناً يقول بأن المسجونين يمكن إصلاحهم أو تربيتهم أو يجب أن نعاملهم بالرقة والعطف والإنسانية . ذلك أنه مقتنع بأنهم أشرار بطبيعتهم ومحال إصلاحهم . وهو هنا لا يختلف من أولئك الكتاب بل « الأدباء » الذين يصفون المرأة باللؤم ويقولون كما قال مصطفى صادق الرافعى : «قيل لحية سامة : أكان يسرك لو خلقت امرأة ؟ قالت : فأنا امرأة غير أن سمى فى الناب وسمها فى لسانها »

هذا الاحتقار ، هذا البغض للمرأة ، إنما يرجع إلى أننا حبسناها فى البيت ـ كما نسجن المجرمين فى السجن ـ وحرمناها الكثير من الحقوق البشرية البدائية ، ثم فوق ذلك حرمناها هذا الذكاء الإنسانى الذى ينشأ من الاختلاط بالمجتمع . وفى وسط هذا البيت ، تحت ضغط الحرمان ،

نشأت عندها من المكر ألوان احتاجت إليها كى تحيا بها وتحصل على القليل الممكن من حقوقها .

وإنما تبلد المسجونون وفقدوا ذكاءهم وشملتهم وحشية لأنهم حرموا الحياة فى المجتمع ، فحرموا الإحساسات الإنسانية والذكاء الإجتماعى . وكذلك المرأة حرمناها المجتمع وحبسناها فى البيت لاتعرف ولا تعامل من البشر غير زوجها وأطفالها ، فحرمت الذكاء الإجتماعى وتبلدت عواطفها . وعند ذلك ، اتهمناها بالنقص فى الذكاء وبالمكر ، بل وصفناها بأنها « حية سامة » .

وأرجو ألا يظن القارىء أنى انتقص من قيمة البيت . فإنه بلاشك مملكة المرأة . وإنما أقصد إلى أن المرأة ، كى يبقى ذكاؤها يقظاً ومعارفها فى توسع وتجدد ، يجب أن تحيا أيضاً فى المجتمع كما تحيا فى البيت . وأن يكون لها نشاط دستورى ومدنى واجتماعى وثقافى حتى تتعدد اهتماماتها ، وحتى تبقى عضواً متطوراً عاملا فى إرتقاء الأمة وتطورها . وحتى تتمكن شخصيتها وتنضج مثل الرجل سواء

نساؤنا المتعطلات

أعظم ما يكسبنا الكرامة الذاتية بحيث نصمد للحوادث ونتغلب على الصعوبات ، هو إحساسنا بأننا ننتج وأن لنا قدرة على أن ننفع ونخدم ، وأن لنا براعة أو مهارة فى عمل معين ، ولنا نشاط نؤديه ونسر به . وقد لا نكسب شيئاً من هذا الإنتاج ولكن إحساسنا به يجعلنا نحس بكرامتنا الذاتية

فإذا أضيف إلى إنتاجنا كسب مالى نعيش به ، فإن كرامتنا لن تكون ذاتية فقط بل اجتماعية أيضاً ، لأن المجتمع الإقتنائى الذى نعيش فيه يحترم القيمة المالية لكل إنسان . وبناؤه يقوم على هذا الأساس قبل أن يقوم على الإنتاج أو الخدمة ، ولذلك هو يحترمنا ، فى أغلب الأحوال ، بقدر نجاحنا فى جمع المال

وحين نفقد ، نحن الرجال، القدرة على الإنتاج والقدرة على الكسب، أى حين نعطل عن العمل ، نحس أننا قد فقدنا كرامتنا الذاتية وكرامتنا الإجتماعية معاً . وهذا الإحساس يتعسنا لأن الإنسان اجتماعى . وهو يحب ويجهد على الدوام كى تكون له مكانة اجتماعية مرموقة .

وكثيراً ما أرى المعطلين من الشبان فى حال من الذهول الذى يقارب الجنون بسبب تعطلهم . وهم يحاولون أحياناً تغطية هـذا الإحساس بشتى ألوان النشاط السطحى أو المزور،أو حتى الإجرامى،كى تخف حدة توتراتهم الناشئة من التعطل والعقم

وقد يكون للرجل الفارغ ، أى المعطل ، مال موروث يعيش منه . وهو يكسب منه الكرامة الإجتماعية . أى احترام الناس. ولـكنه حين يتأمل نفسه لايجد الكرامة الذاتية ، إذ هو غير منتج ، لا يصنع سلعة ولا يؤدى خدمة . وقد يدفعه هذا الإحساس إلى أن يكون غير اجتماعى أيضاً ، أى يستحيل إلى كتلة مطبقة من الأنانية ينشد اللذات والمتع الشخصية فقط.وكثيراً ما تجد بعض الوارثين على هذه الحال . أحاديثهم عن مباريات كرة القـــدم أو جياد السباق ، أو اقتحاماتهم فى باريس أو القاهرة ، أو معاكساتهم لجيرانهم فى الزراعة ، إذا كانوا من أثرياء الريف . أو نحو ذلك

الرجل الفـارغ الثرى ، أى المعطل الثرى ، هو أسوأ الطرز الإجتماعية للإنسان . وقد كان الإقطاعيون على هذا الحال فى بلادنا . وكان فسادهم يتجاوزهم إلى فساد من يحيطون بهم . وكانوا يفسدون لأنهم معطلون فقدوا الكرامة الذاتية بسبب التعطل . ولو أنك لجأت واحداً منهم وهو قاعد فى استرخاء الكسل ، لوجدت أفكاره وخواطره التى تشغله إما إجراميـــة مؤذية ، وإما جنسية مهلكة ، وإما سخيفة مضحكة . وهو طاقة متربصة للأعمال والملذات الشاذة أو المؤذية .

إن السلوك الإجتماعى الحسن يقتضى من كل فرد فى المجتمع إنتاجاً

حسناً . والرجل الفاضل إنما يقاس فضله بأنه أنتج أكثر مما استهلك . فإذا كان إنتاجه كبيراً فان فضله أيضاً كبيراً . أما إذا كان استهلاكه أكبر من إنتاجه فانه عبء على المجتمع ، وهو بمثابة السل الذى يتأكل جسمه وينقص كفاءته

هذا هو مقياس الرجل الفاضل فى عصرنا العلمى الفلسفى . وقل عنه ماشئت بعد ذلك . ولكنه فاضل لأنه عندما يموت سيكون المجتمع الذى عاش فيه أغنى بحياته مما كان قبل أن يولد . أغنى فى الثراء النفسى أو الثراء المادى أو الثراء الذهنى . أى أغنى لأنه وجد منه سلعة أو خدمة

ولكن هذا الذى ذكرناه عن الرجل ينطبق بكل قوته على المرأة . إذ هى إنسان مثله لها كرامة ذاتية وكرامة اجتماعية ، إذا أنتجت أحست بالكرامة ، وإذا عطلت عن العمل المنتج أحست بكل ما يحسه الرجل المعطل ، وأضرت المجتمع بكل ما يضر به الرجل المعطل حتى ولو كان ثرياً

والمرأة فى بلادنا ، فى الطبقة المتوسطة المتيسرة وفى الطبقة العالية الثرية ، لا تعمل ولا تنتج . وهى ، بما لها من خدم يحرمونها حتى العمل فى البيت ، تقعد فارغة فى المنزل . وهذا الفراغ يؤذيها ، إذ هى تسأمه . وقد تعالج هذا السأم بضروب من العلاجات التى تهتدى إليها بتفكيرها أو بالأحرى بخواطرها السائبة

فهى ترفه عن نفسها وتطرد هذا السأم بالإسراف فى التدخين حتى تفقد جمالها وصحتها . أو هى تأكل كثيراً لأن المضغ المستمر يجعلها تحس لذة طفلية سرعان ما تتملكها فتسرف فى الشره حتى تسمن وتعود

كتلة قبيحة من السمن . أو هى تلجأ من وقت لآخر إلى السرير للاسترخاء وتستسلم لخواطر جنسية مرفهة قد تنتهى بتراكمها وتكرارها إلى الوقوع فى الإثم

وفراغ المرأة ، أى تعطلها ، أسوأ من فراغ الرجل . لأنه هو يستطيع أن يشغله فى نشاط اجتماعى . أما هى فلا تجد فى مجتمعنا الإنفصالى ما يتيح لها هذا النشاط ،فهى تقعد فى البيت تجتر خواطرها . ولا يمكن أن يؤدى هذا الإجترار إلى صحة النفس

الرجل الثرى الفارغ يختلط بالمجتمع فى نشاط قد يكون سطحياً ولكنه يخفف عنه توترات التعطل . فهو يغشى الملاهى ويعشق السباحة ، ويزور الأقطار الاجنبية ، ويعرف المقاهى والأندية ، وله أصدقاء يسامرونه فى المقهى والنادى . ثم فوق هذا له حقوق فى سياسة بلاده ، فهو يقرأ الجريدة أو المجلة بإحساس المسئولية أو الطموح . وهو فى كل هذا يجد الصحة النفسية ، أو على الأقل لا يجد بواعث المرض النفسى

أما المرأة الثرية الفارغة ، أى المتعطلة ، التى حرمناها الإختلاط بالمجتمع ، فتقعد فى البيت وحيدة منعزلة .قد تقرأ الجريدة أو المجلة ولكن شئون بلادها عندئذ لا تختلف من شئون الصين أو اليابان إذ هى محرومة الحقوق فى هذه الشئون . فهى متفرجة غير مشتركة . ولذلك تستسلم لخواطر ،بل هواجس،انفرادية أو جنسية أو إجرامية كما تستسلم لعادات اجتماعية سيئة

إن من حق المرأة المصرية أن تجد مثل نساء العالم المتمدن العمل الإجتماعى المنتج الذى يشعرها أنها إنسان اجتماعى نافع

ان هناك عشرات الآلاف من نسائنا الأرامل أو المطلقات أو العواقر اللاتى لا يعملن ، بل يبقين فى البيت معطلات . وبطالتهن مجموعة من المساوىء ، إذ هى عقم ذهنى وترهل جسمى . أو هى نشاط انفرادى ضار وسأم يضنى حياتهن . وهن لهذا الوضع لا يجدن البواعث لأى نشاط اجتماعى . حتى الجريدة لا يقرأنها لأنهن محرومات من حقوقهن فى السياسة ، فلا يجدن الاهتمام لبحثها ، وإنما يقضين فراغهن فى قراءة القصص الغرامية والمجلات الرخيصة

وقراءة الجريدة ، ودراسة الكتاب ، كلتاهما نشاط اجتماعى وليس انفرادياً . لأننا نقرأ وندرس المجتمع أو أشياء المجتمع . فإذا فصلنا منه فإننا لا نجد الباعث للقراءة أو الدراسة الجدية ، ولذلك ليست نساؤنا المعطلات حبيسات البيت وإنما هن أيضاً حبيسات الجهل

ان كل امرأة فاضلة يجب أن تعمل . وأن تحس أنها تنتج للمجتمع أكثر مما تستهلك . ولست أنسى هنا أن إنتاج الأبناء هو أعظم أنواع الإنتاج وأشرفه . ولكن المرأة لا تقضى عمرها كله ، أو ٣٦٥ يوماً فى السنة ، فى هذا الإنتاج . ثم هى قد تكون عاقراً ، فلم نحرمها أنواع الإنتاج الأخرى ؟

ان زوجة العامل ، وكذلك زوجة الفلاح ، تعملان ، وتنتجان اما فى المنزل أو فى الحقل . بل كذلك تفعل الزوجة فى الطبقة المتوسطة الفقيرة التى تعنى بأبنائها وتدبر منزلها . ولكن الزوجة فى الطبقة العالية الثرية ، وكذلك فى الطبقة المتوسطة المتيسرة ، لا تجد ما تعمله فى البيت . فيجب أن تعمل خارجه

ان إحساس الإنتاج هو إحساس الصحة النفسية . وهو إحساس الخير الإجتماعى . وهو إحساس الصلاح فى المعنى العصرى . فيجب أن نجعل قلب المصرية وضميرها يحفلان ويشبعان من هذه الإحساسات البارة النبيلة

ان إدارة متجر للبقالة ، أو الفواكه ، أو الأقمشة ، أو الأزياء ، أو الأجهزة الكهربائية الجديدة ، مثل الثلاجات والراديوات والغسالات ، هذه الأعمال وغيرها مما تمارسه المرأة المحترفة كالطب والتمريض والتعليم ، يصل بين المرأة وبين المجتمع ويجعلها تختلط فتترقى وتعرف وتنمو

وليس الإختلاط هنا للتفرج وإنما هو للإنتاج والخدمة . وعندئذ تتفاعل المرأة بالمجتمع . فينمو ذكاؤها بالتدريب وتكبر شخصيتها بالمسئولية وتزداد بصيرة فى الدنيا وحكمة فى العيش

وقد تكون بعض الأعمال التى ذكرتها هنا متواضعة . ولكنها خير ألف مرة من بقاء المرأة بالبيت معطلة تتعفن وتركد ولا تنمو ولا تترقى بالمعرفة والاختلاط

إن غايتنا فى هذه الدنيا أن نكبر ونتضج ولا يمكن ذلك للمرأة إذا كنا نحبسها فى البيت ونعطل ذكاءها ونلغى شخصيتها . ومن حق المرأة أن تحيا الحياة الحرة المسئولة ، ولا تمكن مسئولية بلا حرية . حتى تجد الكرامة الإنسانية وحتى تعرف الآفاق الإجتماعية فى الخير والشرف والخدمة والفهم

من رفاعة الطهطاوى إلى قاسم أمين

كان رفاعة رافع الطهطاوي من علماء الأزهر ، ولد فى طهطا سنة ١٢١٦ ﻫ ومات فى القاهرة سنة ١٢٩٠

وكان إماماً فى الجيش ، فلما أرسل محمد على بعض الضباط من هذا الجيش ، وكلهم من أبناء الشراكسة والأتراك إلى باريس كى يتعلموا ، أرسل معهم الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى كى يكون إمامهم

أى أن أعضاء البعثة كانوا يتعلمون . أما هو فكان يؤدى وظيفة الإمامة لهم . ولكنه تعلم اللغة الفرنسية وحده بلا مدرسة . ولما عاد إلى مصر كان أول من حرر الوقائع المصرية . ثم عين ناظراً لمدرسة الالسن . ثم ناظراً لمدرسة الخرطوم . ثم بقى سائر حياته عاطلا أو بالأحرى معطلا

وألف نحو عشرين كتاباً منها كتاب « المرشد الأمين للبنات والبنين » وكان يستعمل للمطالعة فى مدارس مصر إلى أن دخل الإنجليز ، فمنع استعماله لأنه كان يدعو إلى تعليم البنات . والاستعمار ، مثل الرجعية ، هو أعدى الأعداء لنهضة المرأة وتعليمها

والطبعة الأخيرة لهذا الكتاب صدرت سنة ١٢٨٩ هـ، أى قبل ٨٤ سنة . والأغلب أنه ألفه قبل مائة سنة أى حوالى سنة ١٨٦٠ م

ونحن نجد هنا رجلا أزهرياً زار باريس قبل نحو ١٢٠ سنة،فكان يعقد المقارنات بين فرنسا ومصر ، وبين المجتمع الفرنسى والمجتمع المصرى ، وبين المرأة الفرنسية والمرأة المصرية

وكان من أثر هذه المقارنات أن تفتق ذهنه وتبلور ذكاؤه فى بعض الشئون الاجتماعية . ففهم وفطن . ثم بصر . وأنا أنقل هذه الكلمات التالية عن كتابه هذا « المرشد الأمين للبنات والبنين» .وعنوان الفصل هو « فى تشريك البنات مع الصبيان فى التعلم والتعليم وكسب العرفان » :

« ينبغى صرف الهمة فى تعليم البنات والصبيان معاً لحسن معاشرة الأزواج .. فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك . فإن هذا مما يزيدهن أدباً وعقلا ويجعلهن بالمعارف أهلا ويصلحن به لمشاركة الرجال فى الكلام والرأى ، فيعظمن فى قلوبهم ويعظم مقامهن لزوال مافيهن من سخافة العقل والطيش ، مما ينتج من معاشرة المرأة الجاهلة لامرأة مثلها . وليمكن للمرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها . فكل ما يطيقه النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة .. فإن فراغ أيديهن عن العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل ، وقلوبهن بالأهواء وافتعال الأقاويل . فالعمل يصون المرأة عما لايليق ، ويقربها من الفضيلة .. وإذا كانت البطالة مذمومة فى حق الرجال فهى مذمة عظيمة فى حق النساء . فإن المرأة التى لاعمل لها

تقضى الزمن خائضة فى حديث جيرانها وفيما يأكلون ويشربون ويلبسون ويفرشون ، وفيما عندهم وعندها وهكذا .. وأما القول بأنه لا ينبغى تعليم النساء الكتابة، وأنها مكروهة فى حقهن ارتكازاً على النهى عن بعض ذلك فى بعض الآثار فينبغى أن لا يكون ذلك على عمومه . ولا نظر إلى قول من علل ذلك بأن من طبعهن المكر والدهاء والمداهنة ولا يعتمدن على رأيهن لعدم كمال عقولهن . فتعلم القراءة والكتابة ربما حملهن على الوسائل غير المرضية ككتابة رسالة إلى زيد ورقعة إلى عمرو وبيت شعر إلى خالد ونحو ذلك . وان الله تعالى لو شاء أن يخلقهن كالرجال فى جودة العقل وصواب الرأى وحب الفضائل لفعل ، فكأن الله تعالى خلقهن لحفظ متاع البيت ووعاء لصون مادة النسل . فمثل هذه الأقوال لا تفيد أن جميع النساء على هذه الصفات الذميمة ولا تنطبق على جميع النساء ، وكم من نهى وردت به الآثار كحب الدنيا ومقاربة السلاطين والملوك والتحذير عن الغنى . فقد حمل على مايعقبه شر وضرر محقق . وتعليم البنات لايتحقق ضرره فكيف ذلك وقد كان من أزواجه – صلى الله عليه وسلم – من يكتب ويقرأ كحفصة بنت عمر ، وعائشة بنت أبى بكر،رضى الله عنهما وغيرهما من نساء كل زمن من الأزمان . ولم يعهد أن عدداً كثيراً من النساء ابتذلن بسبب آدابهن ومعارفهن . على أن كثيراً من الرجال أضلهم التوغل فى المعارف،وترتب على علومهم مالايحصى من شبه الخروج والاعتزال . وليس مرجع التشديد فى حرمان البنات الكتابة إلا التغالى فى الغيرة عليهن من إبراز محمود صفاتهن أيا ما كانت فى ميدان الرجال تبعاً للعوائد

المحلية المشوبة بحمية جاهلية . ولو جرب خلاف هـذه العادة لصحت التجربة . فإننا لو فرضنا أن إنساناً أخذ بنتاً صغيرة السن مميزة وعلمها القراءة والكتابة والحساب وبعض ما يليق بالبنات أن يتعلمنه من الصنائع كالخياطة والتطريز إلى أن تبلغ خمس عشرة سنة ثم زوجها لإنسان حسن الأخلاق كامل التربيـــة مثلها فلا يصح أنها لاتحسن العشرة معه أو لاتكون له أمينة . ومثل ذلك سائر البنات، فإن تعليمهن فى نفس الأمر عبارة عن تنوير عقولهن بمصباح المعارف المرشد لهن ، فلا شك أن حصول النساء على ملكة القراءة والكتابة وعلى التخلق بالأخلاق الجيدة والاطلاع على المعارف المفيدة هو أجمل صفات الكمال، وهو أشوق للرجال المتربين من الجمال. فالأدب للمرأة يغنى عن الجمال ، لكن الجمال لايغنى عن الأدب لأنه عرض زائل . وأيضاً آداب المرأة ومعارفها تؤثر كثيراً فى أخلاق أولادها، إذ البنت الصغيرة متى رأت أمها مقبلة على مطالعة الكتب وضبط أمور البيت والاشتغال بتربية أولادها جذبتها الغيرة إلى أن تكون مثل أمها بخلاف ما إذا رأت أمها مقبلة على مجرد الزينـة والتبرج وإضاعة الوقت بهذر الكلام والزيارات الغير اللازمة حيث تتصور البنت من الصغر أن جميع النساء كذلك فتألف ذلك من صغرها ، فشتان ما بين هذه وبين من تعتمد على معارفها وآدابها وتفعل ما فيه إرضاء بعلها وتربية أولادها لأنها شبت على ذلك كما قال البوصيرى رحمه الله :

« والنفس كالطفل إن تهمله شب على

حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم »

« وقد قضت التجربة فى كثير من البلاد أن نفع تعليم البنات أكثر من ضرره، بل انه لاضرر فيه أصلا »

هذا هو ما أردت أن أنقله من هذا الأزهرى العظيم الذى بصر بقيمة التعليم للمرأة قبل مائة سنة حين كانت الدنيا فى مصر قتاماً وظلاماً

ولكن لماذا لم تثمر هذه الدعوة ؟

أعظم ماجعل هـذه الدعوة عقيمة هو الاستعمار الذى لم يسمح للحكومة المصرية بإنشاء مدرسة ثانوية واحدة للبنات . ولذلك لم ننشىء نحن هذه المدارس إلا فى سنة ١٩٢٥ بعد أن تخلصنا بعض الشىء من القيود الاستعمارية

ولكن شيئاً آخر عاق هذه الدعوة، هو أن رفاعة الطهطاوى لم يدع إلى السفور ، وكأنه كان راضياً بأن تتعلم المرأة وتبقى فى البيت لاتخرج إلى المجتمع ولا تختلط به . بل إن نظرته للمرأة من ناحية تعليمها إنما كانت قائمة على أنها يمكن أن تزيد صلاحيتها بالزواج وخدمة الرجل وأولادها عندما تكون متعلمة . أى أنه لم يرتفع إلى غاية التعليم للمرأة من تربية شخصيتها وإنسانيتها بصرف النظر عن زواجها أو عزوبتها

ولذلك احتجنا إلى قاسم أمين الذى دعا إلى السفور قبل نحو ستين سنة

وكلاهما ، رفاعة الطهطاوى وقاسم أمين ، عاش فى باريس ، ولكن قاسم أمين كان أنضج وأبصر فى التفطن لمعانى الحضارة الأوربية . ولذلك دعا إلى السفور ، أى دعا إلى اختلاط المرأة بالمجتمع ، تدرس شئونه وتحيا الحياة المستقلة التى تمليها عليها شخصيتها

ونحن الآن أكبر من قاسم أمين ومن رفاعة الطهطاوى معاً لأننا قد ارتقينا إلى فهم جديد لمقام المرأة فى العائلة وذلك بإيجاد قيود تحول دون الإساءة بالإسراف فى الزواج أو الطلاق

وهذا الفهم الجديد أملته علينا حال اجتماعية جديدة، هى يقظة نحو عشرين ألف امرأة قد احترفن التعليم والطب والتجارة والصناعة والصحافة، ونحو مائة ألف عاملة مصرية يعملن ويرتزقن فى المصانع

وهؤلاء جميعاً يؤلفن طبقة جديدة من النساء لم يعرفها تاريخنا الماضى، وهن اللائى أملين علينا هذه الإصلاحات الجديدة للعائلة. وهن اللائى غرسن فى نفوسنا هذا الاحترام لهن والعناية بمصالحهن. وهن اللائى حملن لجنة الدستور على الاعتراف بالقليل من حقوقهن

نصفنـــا الآخر

قبل أسابيع سألتنى مجلة « الجيل الجديد » عن رأيى فى لجنة الدستور من حيث ماينقصها . فقلت أنه ينقصها أن يكون نصف أعضائها من النساء ، أى ينقصها ٢٥ امرأة يشتركن فى وضع الدستور الجديد

ولا بد أن القراء قد ضحكوا ، كما ضحكت أنا ، عندما أعطيت هذه الإجابة . فإن الجمعيات النسوية كانت تقنع بحضور واحد منها ، وقد رفضت الحكومة اختيار هذا العضو من النساء ، فكيف لى أتقدم باقتراح ٢٥ عضواً ؟

ولكنى بإجابتى هذه إنما أردت ان ارج النائم حتى يستيقظ . فإننا قد نزلنا بمقام المرأة إلى حد لم يعد لها فيه ذكر ، حتى ان اللجنة التى تبنى نظام الدولة فى المستقبل لاتبالى أن يكون بها امرأة واحدة

فإن الجمهورية المصرية تحوى عشرين مليون إنسان ، منهم عشرة ملايين من النساء . ولو أننا عرضنا على أحد البدائيين ، الذين لم ترتبك رؤوسهم بالمركبات الاجتماعية ولم ينشأوا على العادات المصرية ، هذه المشكلة كى يحلها بسذاجته وفطرته لقال : « ما دام الشعب عشرين مليوناً ،

ونصفه ، أى عشرة ملايين من النساء ، فيجب أن يكون نصف لجنة الدستور من النساء أيضا »

ولكن هذا المنطق الفطرى البدائى قد نأى عنا واغترب عن أوضاعنا حتى لنضحك عندما نجد من يدعونا إلى التسليم به. ولقد وصلنا بأوضاعنا الاجتماعية ومركباتنا التاريخية إلى أن صرنا نعامل المرأة المصرية كما كان الاستعماريون يعاملوننا حين كانوا ينكرون علينا حق الحكم النيابى . بل كما يعاملون الآن الزنوج وينكرون عليهم هذا الحق أيضاً فى أفريقيا وآسيا وأمريكا

وإذن ألم يكن لى الحق فى أن أرج النائم حتى يستيقظ ، وحتى يجد جانباً آخر فى منطقه قد خفى عنه ؟

والذى لاشك فيه أننا لو كنا أمة متمدنة مائة فى المائة ، ولو كانت نساؤنا على المستوى الثقافى الذى بلغه الرجال ، لما كان فى اقتراحى ما يستغرب . ثم لو كنا على بصيرة نافذة لمستقبلنا ،وعلى وجدان عميق بمركز المرأة وطاقتها فى الإنتاج الصناعى القادم لكان يجب أن يكون تعيين بعض النساء فى لجنة الدستور واجباً حتما علينا كى نستغله فى انهاض المرأة وإعدادها لمستقبلنا

واعتقادى أن الذين يقولون بحرمان المرأة حق الانتخاب والترشيح للنيابة ، هم أبناء ذلك الجيل القديم الذى كان يقول أيضاً بحرمان المرأة السفور ، وحرمانها حق التعليم فى الجامعة،وحرمانها الاختلاط بالمجتمع قبل نصف قرن

ولا أعرف إذا كان هؤلاء الذين قالوا، وما يزالوا يقولون ،بحرمان

المرأة حق الاشتراك فى حكم بلادنا ، يأسفون لأن مصر قد أصبح فيها نحو خمسة آلاف امرأة يشتغلن بالطب والمحاماة والتعليم والتمريض والتمثيل والصحافة والفلسفة . وإنى لأسألهم هل هم يعتقدون أننا كنا نكون أسعد حالا وأقوى اجتماعاً لو أننا كنا قد حرمنا نساءنا هذه الحرف وهذا التعليم ؟

ومع ذلك ، كلنا يعرف أننا انتزعنا هذه الحقوق للمرأة من المستعمرين الأجانب ، وأيضاً من الجامدين الوطنيين أعداء قاسم أمين ولطفى السيد وغيرهما . وأن الحجج التى كان هؤلاء المستعمرون الأجانب والجامدون الوطنيون يحتجون بها لمنع المرأة من السفور ، ثم لمنعها من التعليم الجامعى واحترافها الحرف ، هى نفسها الحجج التى يتذرع بها دعاة الحرمان فى الوقت الحاضر حتى لا تشترك فى الحياة النيابية

إننا نحن الذين عرفنا مصر فى بداية هذا القرن ، وعرفناها بعد ٥٣ سنة، نفرح ونطرب عندما نجد أن بيننا خمسة آلاف امرأة مصرية يرتفعن إلى الآفاق الاجتماعية والثقافية التى ارتفع إليها الرجال قبلهم . ونفرح ونطرب إذا وجدنا الفرصة لأن نرتفع بهذا العدد من خمسة آلاف إلى خمسين ألفاً ومائة ألف

لقد ضربت مثلا برجل بدائى ينظر إلى حالنا النظرة البكر ، ويقضى القضاء الحر الذى لم تلابسه أغراض سابقة . والآن أقول إن أعظم ما يفسد التفكير السليم هو هذه العادات الذهنية والتقاليد الاجتماعية والثقافية ، والمكاثرة والأغراضات المذهبية التى تحيل القيم البشرية إلى قيم اجتماعية . فبدلا من أن نقول : هنا إنسان مصرى له حق الإنسانية

فى النمو الذهنى والحرية المدنية وحقوق الإنسان العامة ، بدلا من هذا نقول : هذا المصرى شرقى له تقاليد يجب أن يخضع لها ويتقيد بها . وكأننا ننسى أننا قبل أن نكون شرقيين أو غربيين، ومصريين أو ألمان ، إنما نحن بشر لنا حقوق البشرية العامة

لذلك يجب أن تكون القيم الأخلاقية والاجتماعية بشرية قبل أن تكون مصرية أو انجليزية أو هندية أو صينية

إنسان من البشر له حقوق البشر .

وما دامت المرأة إنساناً فإن لها الحق فى أن تحيا حياة الرجال بحقوق الرجال ، تنمو وتتعلم وتنضج وتتاقى كوارث الدنيا وتختبرها وتتعلم منها الحكمة كما تنعم بمتعها : متعة الثقافة والإنتاج ومتعة الزواج والأبناء

والآن أحس سؤالا ينقر فى وجدانى : إن المرأة جاهلة ولا يمكنها أن تضطلع بتبعات الحكم والنيابة ؟

وهذا قول صادق

ولكنى أرد عليه بأن مثل هذا القول قاله رياض باشا التركى لعرابى المصرى عندما طلب هذا منه باسم الجيش أن يكون لمصر مجلس نيابى . فكان رد هذا المصرى العظيم :

« قد يكون الشعب المصرى جاهلا . ولكن أليس من الممكن أن ننشىء مجلس النواب فيكون له بمثابة المدرسة يتعلم فيها ، حتى إذا مضت ثلاث أو أربع سنوات أصبح النواب على معرفة بأصول الحكم وتقدير لواجباته فيكونون نواباً حقيقيين »

هذه هى إجابة عرابى التى استلهمها من إحساسه الوطنى وذكائه وإخلاصه لبلاده . وهـــذا هو مايجب أن نحس أيضاً نحو أمهاتنا وأخواتنا وبناتنا . وهو أن دخولهن فى البرلمان يعلمهن ويكسبهن التبعات الشريفة ،ونظرة الجد للدنيا ،وتحمل الواجبات الوطنية،ويفتح لهن آفاقاً جديدة لخدمة الوطن فى المجتمع والحكومة والمصنع والمزرعة والمكتب والمتجر .لأن هذه كلها لايمكن أن تكون وقفاً على الرجال دون النساء

وعندما نسمع أن فى الولايات المتحدة ٣٣ مليون امرأة يعملن فى الإنتاج القومى ، صناعة وزراعة وتجارة ، ألا نبصر بهذا السر لهذه القوة الإنتاجية العظيمة للأمريكيين - أو لبعض السر على الأقل ؟

إن الإنتاج العظيم فى أوربا وأمريكا يعزى ، فى بعضه ، إلى أن الرجال والنساء يعملون . فى حين أن إنتاجنا فى مصر ضئيل فقير ، لأن الرجال وحدهم يعملون فيه

ولكن هذا النظر للمرأة من حيث اشتراكها فى الإنتاج هو نفسه النظر إليها من حيث المساواة الدستورية بينها وبين الرجل . ولا يمكن أن نقبل أحد الجانبين دون الآخر .

يجب علينا، نحن المصريين ، ألا نقنـــع بالنظرة الذكية لمستقبلنا . إذ يجب أن نتجاوزها إلى النظرة العبقرية

لم يعد السعى الحثيث المثابر يكفينا ،إذ يجب أن نثب الوثبة العاليـة ونطير ونحلق

ويجب ألا نقنع بالمستوى العالى الذى وصلت إليه أوربا ، إذ يجب أن نتجاوزه إلى ماهو أعلى منه

ذلك لأننا قد تخلفنا ، بفضل المستعمرين الأجانب والمستبدين المصريين ، التخلف العظيم الذى يقتضينا الوثوب والسرعة والطيران

ويجب أن تكون لنا فلسفة فى نهضتنا ومصريتنا بحيث لا نسن قانوناً إلا ونحن على ذكر ،وعلى وجدان ،بقيمته لأمتنا بعد مائة سنة بل بعد ألف سنة

فهل حرمان المرأة المصرية حقها فى الانتخاب والترشيح للبرلمان يتفق ومكانها بعد مائة سنة وألف سنة ؟

وهل الحياة المليئة التى يجب أن يحياها كل مصرى ، والتى هى من حقه ، هل هذه حياة المرأة المصرية فى الوقت الحاضر ؟

إن الحياة المليئة تقتضينا أن نحيا فى العائلة ، وفى المجتمع ، وفى العالم . وهى تحتاج إلى الثقافة ، وإلى التعب والعرق ،وإلى الإحساس الشريف بأننا منتجون ، وإلى أن نحيا حياتنا كلها ونحن نتعلم ونتعرف ونختبر

فهل هذه حياة المرأة المصرية اليوم ؟

ومن هو المسئول عن التضييق عليها ؟

وماهو برنامجنا للإنسان المصرى فى مدى الألف السنة القادمة ؟

إننا فى تضييقنا على المرأة المصرية نحيا حيـــاة مخطئة تحتاج إلى التصحيح

فلسفتنا عن المرأة

نحن على الرغم منا فلاسفة ، إذا تواضعنا فى تعريف الفلسفة ، وفهمنا منها أنها الهدف الذى نهدف إليه فى حياتنا والأسلوب الذى نتبعه فى بلوغه

والواقع أن الفلسفة فى عصرنا ليست أكثر من ذلك . فإنها نزلت عن كبريائها القديمة فى بحث الغيبيات وما وراء الواقع ونحو ذلك ، وقنعت بالعيش

أجل . . انها الآن تبحث موضوع العيش : كيف نعيش وليس كيف نموت ؟

ونستطيع أن نقول ، بناء على ماذكرنا ، إن أزماتنا السياسية الماضية ، وفرحتنا الحاضرة ، هما من الفلسفة

وإنى لأذكر أنى فى سنة ١٩٣٠/١٩٣١ كنت أعمل محرراً بالبلاغ . وكانت الكوارث قد توالت علينا، من إلغاء الدستور ، إلى ضرب الطلبة ، إلى اعتقال المئات من العمال ، إلى سن القوانين المجحفة بالحريات ، إلى استبداد فؤاد ، إلى غير ذلك . واستلهمت من الأحداث العالمية

فكرة شرحتها فى مقالات قصيرة بالبلاغ عن أسلوب غاندى فى الهند وأسلوب زعمائنا فى مصر . وقلت اننا فى حاجة إلى أسلوب غاندى أى أسلوب الاستغناء بدلا من الاقتناء

وكانت ثورة الكتاب على عنيفة لهذه الدعوة . ولن أعود إلى شرح ما كنت أدعو إليه

ولكنى أريد أن أقول هنا إنه كانت لغاندى فلسفة ، تجسمت فى أهدافه وأسلوب عيشه ، وانتهت باستقلال الهند . فلما مات غاندى ظهر بعده نهرو الذى يقرأ الكتب ويؤلف فى التاريخ والفلسفة والسياسة ويقود الهند نحو القرن العشرين

وكان لزعمائنا وقتئذ فلسفة أيضاً تجسمت فى أهدافهم وأسلوب عيشهم . فكانوا يجهدون ويلهثون للشراء وشراء الضياع والقصور والسيارات . وقد انتهت فلسفتهم هذه إلى أن قبلوا يدفاروق النجسة وذلوا له وارتضوا استبداده . فاحتقرهم الإنكليز ، واحتقرهم السودانيون

وجاء رجال الجيش بفلسفة أخرى ، فاستبدلوا بالأهداف القديمة أهدافاً جديدة ، واتخذوا أسلوباً للعيش غير الأسلوب الذى كان يتخذه أولئك فلم يفكروا فى اقتناء اليخوت أو بناء القصور أو شراء الضياع . فاحترمهم الإنكليز وأحبهم السودانيون

إن لكل منا فلسفة من حيث يدرى أو لا يدرى

ونحن حين نتكلم عن الاستعمار أو الرق أو الشرف أو المرأة ، إنما نسترشد بفلسفة معينة تكاد تكون شخصية . وقد تكون هذه الفلسفة مخطئة مظلمة أو صحيحة مستنيرة

ويجب أن تكون لنا فلسفة عن المرأة . ولا أعني رأياً ، وإنما أعني فلسفة . بحيث نبحث وندرس حال المرأة ومستقبلها في آلاف السنين القادمة في مصر . وفلسفتنا عن المرأة لا تقل في قيمتها عن فلسفتنا عن معاني الحرية والاستقلال والإنسانية بل قد تزيد على بعضها

وقد وجدت هناك التباسات بشأن فلسفتي عن المرأة ، تجاوزت القاهرة إلى لندن . ولذلك احتاج إلى بعض الإيضاح

فقد ألقت الآنسة سيلفيا هيم حديثاً من محطة الإذاعة البريطانية في لندن يوم ٢٨ من يناير (كانون الثاني) الماضي ، تناولت فيه موقفي من ناحية المرأة إلى جنب مواقف أخرى لي وانتقدت بعض ماقلت . وفهمت من كلام هذه الآنسة أنها قرأت كتابي « تربية سلامة موسى » اما في أصله العربي واما في الترجمة التي قامت بها مؤسسة روكفيلر

وخلاصة ما نقلته عني أني قلت أني عندما اصطدمت بالحضارة الأوربية في باريس حوالي ١٩١٠ كان أعظم ما أثر في نفسي هذا الفرق الشاسع بين شخصية المرأة النشطة المتنبهة العاملة الاجتماعية ، وبين شخصية المرأة المصرية التي انزوت في البيت وتحجبت وقنعت من الدنيا بخدمة زوجها وأولادها . ولكني لما درست المجتمع الأوربي وجلت في عواصم أوربا ، اتضح لي أن الفرق بين المرأة المصرية والمرأة الأوربية ليس عظيماً . وإنما هو تفاوت فقط في درجات الحرية . لأن الواقع أن المرأة في كل مكان في العالم ، في مصر وفي أوربا ، لاتزال دون الرجل لم ترتفع من الأنثوية إلى الإنسانية

ثم تساءلت : وهل ارتفع الرجال إلى الإنسانية ؟

هـذا هو سؤال الآنسة سيلفيا هيم . وهو عندى تهارب وتمحل وإحالة ، أكثر مما هو مواجهة للحقائق

ذلك أن الرجل يعمل فى المجتمع الوطنى أو البشرى ، وتتسع آفاقه ، وينتج ، ويحس أنه يخدم الألوف والملايين من البشر . ويقرأ ويدرس ويختبر ويتألم . ويكافح من أجل الحرية والشرف . وفى هذا كثير من الإنسانية إذا عمدنا إلى المقارنة بين نشاطه هـذا وبين نشاط المرأة المحدود بحدود البيت ، حيث ترصد حياتها لخدمة ثلاثة أو أربعة أشخاص هم : زوجها وولدان أو ثلاثة أولاد

وأنا هنا ، فى هذا الرأى ، فى صحبة عظيم يحترمه الشرقيون والغربيون معاً ، هو ابن رشد الأندلسى

فقد نقل « دى بور » المستشرق الهولندى فى كتابه عن فلاسفة المسلمين (ترجمة محمد ابو ريده) عن هذا العظيم الذى عاش فى أواخر القرن الثانى عشر وأوائل الثالث عشر ، أنه كان يقول بأنه :

« يجب على النساء أن يقمن بخدمة المجتمع والدولة قيام الرجال . . وأن الكثير من فقر عصره وشقائه يرجع إلى أن الرجل يمسك المرأة لنفسه كأنها نبات أو حيوان أليف لمجرد متاع فان . بدلا من أن يمكنها من المشاركة فى إنتاج الثروة المادية والعقلية وفى حفظها »

هذا هو ماقاله ابن رشد الفيلسوف المسلم الأندلسى قبل نحو ٨٠٠ سنة . وهذا هو ما أقوله وأكرره

وانه لمن تعس حياتى فى مصر أنى أحتاج ، كى أبرر موقفى ، أن أقول أن هذا أو ذاك ، قد قال هذا الرأى الذى أقول به ، قبل ثمانمائة

أو سبعمائة سنة . فقد احتجت إلى أن أعتمد على الإمام ابن حزم في دعوته للحب ، وأنه يجب أن يكون متعة الشباب وأساس الزواج وغاية الهناء . والآن احتاج إلى أن أقول أن ابن رشد يقول إن آفاق البيت لا تكفى المرأة لأن ترتفع إلى الإنسانية ، إذ يجب أن يتجاوز نشاطها بيتها إلى خدمة المجتمع والدولة . .

وعلى الآنسة سيلفيا هيم أن تقرأ ابن رشد . . . كما يجب على رجال التعليم عندنا أن يقرأوه ، وأن يفكروا كثيراً قبل أن يشرعوا في تأسيس ما يسمونه « مدارس الثقافة النسوية » . كأن النساء يختلفن عن الرجال في الثقافة ، وكأن رجال التعليم عندنا قد وقفوا المرأة على خدمة البيت . وكأنهم قد قرروا قرارات حكومية ضد الطبيعة البشرية وانتهوا إلى أن المرأة يجب أن تعرف هذا وأن تجهل هذا

إننا نسترشد في مصر بفلسفة مخطئة عندما نتحدث عن المرأة أو نعاملها أو نربيها . لأننا نحب أن تبقى أنثى ولا نكاد نبالى أن تكون إنساناً له آفاق الإنسان وتضحياته وواجباته . وهى لذلك تحيا الحياة المقصورة المحدودة . ولذلك لا نكاد نعرف الفضل الذى تسديه إلينا سيزا نبراوى ، ودرية شفيق ، ومنيرة ثابت ، وانجى أفلاطون ، والعشرات والمئات غيرهن اللائى يحاولن أن يخدمن المجتمع والدولة كما نصح لنا ابن رشد الأندلسى

يجب أن تكون لنا فلسفة عن المرأة المصرية بحيث لا ننشد مساواتها بالمرأة الاوربية فقط ، بل نتجاوز هذه المساواة إلى آفاق إنسانية أبعد وأوفى . ويجب ألا يكون فى قولى هذا ما يستغرب لأن المرأة الاوربية

لاتزال دون المستوى الإنسانى

وصحيح أن المرأة الاوربية والأمريكية قد أصبحت تشارك الرجل فى الكثير من مسئولياته الاجتماعية والإنسانية ، ولكنها مع ذلك لم تبلغ مستواه . وقد أتاح استخدام القوة الكهربائية فى المنزل الأميركى نشاطاً اجتماعياً عظيما للمرأة الأميركية ، لأن واجبات البيت لم تعد ترهقها كما هى الحال عند المرأة المصرية بل أحياناً المرأة الأوربية أيضاً . ولكن التراث القديم الذى ورثته المرأة ، فى أوربا وأميركا ، من رعاية الرجل وسيادته ، لايزال قائماً تتفاوت درجاته فقط عندهم كما عندنا

وكما قلت ، يجب أن نذهب إلى أبعد مما ذهبت إليه المرأة فى أوربا وأميركا ، أى يجب أن ندفع المرأة إلى الآفاق الإنسانية . كما ندفع الأمة إلى الانتقال من حضارة الزراعة إلى حضارة الصناعة . وفى هذا الانتقال وحده نجد ماسوف يريحنا من صداع المناقشة عن حقوق المرأة وواجباتها . لأنه هو سيحقق هذه الحقوق والواجبات

لقد بدأت مقالى بالمقارنة المحزنة بين زعمائنا وبين زعماء الهند ، وما كتبته فى ١٩٣١ مما أثار على السخط

والآن أسأل هذا السؤال :

أينا على صواب . نحن أم الهنود فى فلسفتنا عن المرأة ؟

إنهم أى الهنود قد منحوا المرأة الهندية حقها فى الانتخاب والترشيح للبرلمان . فصارت وزيرة وسفيرة ورئيسة ، وارتفعت إلى الآفاق السياسية والاجتماعية . ونحن أبينا على المرأة المصرية ذلك فأينا على صواب وأينا على خطأ ؟ وكيف نقارن بهم بعد مائة سنة؟

المرأة التى تعمل فى المجتمع

أتاحت لى الظروف هذا الاسبوع أن أجد نفسى فى غرفة رحبة فى مبنى الشهر العقاري بالقاهرة . وكان جميع من يقوم فيها بالأعمال الحكومية موظفات مصريات ليس بينهن موظف واحد من الرجال كن يبلغن ثمانياً أو عشراً كلهن حائزة على شهادة الحقوق

وتأملت الوجوه والقامات واللغة . وكان إعجابى عظيما

لم أجد فى واحدة منهن ذلك التبرج الذى نعرفه فى كثير من نساء المنازل . وأعنى التبرج فى طلاء الوجه ، والتبرج فى الملابس التى تجعل المرأة عارية وهى كاسية ، والتبرج فى الكلمة والإيماءة . كما لم أجد واحدة منهن تدخن ، أو يعلو صوتها فى خشونة الأصوات التى نسمعها من الرجال

لا . لا نعومة ولا خشونة : إذ كن يؤدين أعمالهن فى وقار وجمال معاً

ووجدت سؤالا ينقر فى ذهنى : لماذا لايتبرجن وهن جميعهن فى سن الشباب ؟

ووجدت الجواب

إن المرأة عندما تعمل تجد الكرامة . وتجد الاستقلال . وت
الأمل والثقة . فهي لاتقلق على مستقبلها ولا تخشى أن يفوتها زواج
وهي تعرف أن كرامتها وعيشها وسعادتها لاتتوقف على محاسنها الجسد
فقط . إذ أن لها محاسن أخرى هي ذكاؤها ومهارتها وإنسانيتها ال
تنمو جميعها بالعمل . هذا العمل الذي يربيها وينضجها ويجملها ، تسكبر
وتحيا الحياة الفنية الفلسفية في هذه الدنيا

إن كثيراً من دعاة الفعل الماضي واحترام التقاليد يتهمون المرأ
العصرية بالتبرج . وهم لايسأمون القول المكرر بأن المكان الأو
للمرأة هو البيت ، وأن وظيفة المرأة الأولى هي الزواج . كأن هؤلا
السيدات والآنسات اللائي رأيتهن ليست لهن بيوت أو كأنه
لن يتزوجن .

أما عن تهمة التبرج فإنها ألصقت بالفتاة التي تطمح إلى الزوا
والبيت ، دون أي نشاط خارجهما ، من هؤلاء العاملات في خدم
الدولة . ذلك أن الفتاة ، عندما تعرف أنه ليس لها كرامة أو عيش
إلا بمقدار ماعندها من جمال جنسي ، تحتاج إلى أن ترصد كل وقته
واهتمامها لزيادة محاسنها التي تغري وتجذب حتى يتحقق لها الزواج
فإذا تحقق ، فإنها تحتاج أيضاً إلى الإسراف في العناية بمحاسنها ومفاتنه
حتى تستبقي زوجها

ثم هي لهذا الموقف السيكولوجي ، أي لقصرها عنايتها على الزو
والبيت ، تنسى القيم الاجتماعية الإيثارية ولا تعود تبالي غير القيم الأنانية

أى البيت والزوج ، بل حتى حين تجد من زوجها اتجاهات اجتماعية مثل خدمة الوطن ، أو العناية بالمذاهب والمبادىء ، أو التضحية بشىء من مصلحته الخاصة لأجل الخير العام . حين تجد ذلك منه ، تكفه ، إذ لاقيمة لكل هذه الأشياء إزاء ارتباطه بها وحدها . فهى تجره إلى الأرض إذا أحست منه أية رغبة فى الارتفاع إلى السماء

أليس هو عائلها ومكسبها وموئلها ؟

إنها لاتعرف غيره ترسى عليه قواعدها فى الحياة . فهى تستمسك به ، وتتبرج له ، وتعد نفسها كل يوم لأن تكون أنثى أكثر من أن تكون إنساناً

ولكن ليس هذا شأن الفتاة التى احترفت حرفة واستقلت وعاشت منها . فإنها تفكر فى الزواج كما يفكر فيه الرجل باعتبار أنه شركة شريفة يراد منها سعادة الزوجين . وليس باعتبار أنه وسيلة للعيش من كد الزوج وتعبه . إذ هى تستطيع أن تكد وتتعب مثله وتعيش

ولذلك أيضاً تعد الفتاة التى عملت وكسبت من عملها قبل الزواج ، تعد خير الزوجات عندما تتزوج . ليس فقط لأنها لا ترصد كل وقتها لزيادة محاسنها التى تغرى بها زوجها حتى لايلتفت إلى غيرها ، وإنما لأن اختباراتها السابقة فى عملها الحر ، أو خدمتها الحكومية ، تجعلها تفهم المجتمع الذى تعيش فيه وتحملها على ألا تقصر نشاطها على البيت . إذ هى لاتنسى هذا المجتمع بجميع مسئولياته ومسراته . ثم هى ، لأنها تفهم هذا المجتمع وتفهم قيمة العمل ومسئولياته ، تعرف مسئوليات زوجها وتفطن لمتاعبه وهمومه

إنها تعرف معنى المواعيد التى لاتكاد زوجة لم تعمل من قبل تعرف معناها ، وهى تفطن لقيمة السلوك فى المعاملة ، وقيمة الزى اللائق ، وقيمة الدراسة ، وقيمة الجريدة فى التنوير السياسى والاجتماعى، وقيمة الكتاب فى الحياة الفلسفية

وصحيح أن الزوج لايجد فيها ذلك التواضع، أو التخاضع ،الذى يجده من الزوجة التى لم تحترف حرفة ولم تكسب قرشاً . ولكن الحياة الزوجية السليمة فى نظر الرجل السليم هى حياة التكافؤ والزمالة وليست حياة السيادة والكبرياء . ولست أنكر أن هناك شباناً يخشون الزواج من فتاة جامعية متعلمة . ومرجع هذا إلى أنهم يجدون فيها أو بالأحرى فى تعليمها مهانة لكرامتهم ، إذ قد تمتاز هى على الزوج بثقافة أو علم أو فن . أو هم يخشونها لأنها تعرف كثيراً وهم يؤثرون السذاجة على المعرفة

وهم ينسون اولا ان من مصلحة البيت ، إذا كان الزوج جاهلا أو منخفض المستوى فى التعليم ، أن تكون الزوجة متعلمة . لأن زوجاً جاهلا مع زوجة متعلمة خير من زوجين جاهلين . وينسون ثانياً أن هذه السذاجة المنشودة لاتزيد على أن تكون جهلا سوف ينعكس أثره السيىء فى إدارة البيت وتربية الأبناء

والآن أحب أن أنتقد

ذلك أن المكتب الذى زرته فى مصلحة الشهر العقارى كان يحوى الموظفات دون الموظفين ، ولست أشك أن منع الاختلاط بين الجنسين قد قصد هنا . فكأننا قد سلمنا بالانتفاع بخدمة المرأة ولكن مع

الاحتفاظ بالفصل بين الجنسين

وهذا خطأ عظيم . فإن الزمالة بين الرجل والمرأة فى الوظيفة الحرة أو الوظيفة الحكومية هى تربية إنسانية جليلة لكل من الجنسين . إذ ليس هناك ماينبه الذهن إلى الحقائق دون الخيالات سوى هذه الآنسة التى تنشأ من الحديث وتبادل المسئوليات بين شاب وفتاة فى واجبات الخدمة للجمهور

يجب أن يعرف الرجل المرأة ، ويجب أن تعرف المرأة الرجل . وأى سبيل لهذه المعرفة سوى الاختلاط ؟ هل يعرفانها من الكتب ؟

إن الانفصال يجعل كلا من الشاب والفتاة يشطح فى خيالات بعيدة عن الحقائق . فإذا تم زواج بعد انفصال طويل فإن الحقائق الجديدة قد يحطمها الخيال السابق فلا يصلح الزواج ولا يسعد

وفن الحب يحتاج إلى أن تبقى صورة المرأة ماثلة فى ذهن الرجل وصورة الرجل ماثلة فى ذهن المرأة منذ المهد إلى اللحد ،وأيما انفصال بينهما قد يحدث شذوذاً . وقد لايبرأ هذا الشذوذ طيلة العمر

ولكن هناك ماهو دون الشذوذ مما يتعس الحياة الزوجية . فإن الانفصال بين الجنسين يجعلنا لانفهم الطراز الذى نحبه من النساء أو الرجال . أى لانعرف كيف نحب . وعندئذ نتزوج للزواج فقط وليس لما ننتظره فى الزواج من سعادة وهناء . ثم تتكشف لنا الحقائق بعد الزواج حين نجد أننا تزوجنا فتاة (أو فتى) من طراز آخر غير ماكنا نحب أن نتزوج

إن مجتمعنا الانفصالى قد حطم سعادتنا وأخر تربيتنا الإنسانية

والاجتماعية . ومادامت الحكومة قد سلمت بتوظيف المرأة فإنها يجب أن تسلم بالاختلاط بين الجنسين فى مكاتبهما حتى يكون هذا الاختلاط الذى تهذبه المسئوليات تمهيداً لإيجاد مجتمع مختلط مهذب

لو أننى كنت ديكتاتوراً لشرطت على كل فتاة ترشح للزواج أن تكون قد عملت وكسبت من عمل حر أو من وظيفة حكومية خمس سنوات على الأقل . بل أزيد على هذا أن هذه السنوات الخمس يجب أن تمضى سواء فى مكتب أو متجر أو مصنع مع الرجال

قد يعترض القارىء أو القارئة بأن الفتاة التى تعلمت فى الجامعة قد حصلت من هذا التعليم بما يهيئها للزواج السعيد . ولكن هذا خطأ . لأن هذه الفتاة قد تعلمت من الكتب . وهى لن تتزوج كتاباً إذ ستتزوج إنساناً . فيجب أن تعرف هذا الإنسان بالاختلاط الاجتماعى قبل الزواج . وأحسن أنواع هذا الاختلاط هو تلك الزمالة التى تجدها وقت عملها مع الرجال ، إذ هى أشرف زمالة تنطوى على مسئوليات الخدمة والأمانة والشرف . وكما تترقى المرأة بهذه الزمالة كذلك يترقى الرجل

إنى كثيراً ما أجد البذاء والوقاحة والغثاثة فى أولئك الشبان الذين لم يزاملوا الفتيات ولم يختلطوا بهن هذا الاختلاط الذى يربى فى نفوسهم الضمير الاجتماعى، ويقسرهم على اتخاذ الكلمة المهذبة والسلوك المهذب فى حديثهم .

ولنذكر كلمة عن «البيت» الذى لا يتعب الكارهون للتطور من القول بأنه غاية المرأة فى الحياة . ذلك أن المرأة إنسان . وليس البيت

أو الوظيفة ، وليس العلم أو الأدب ، وليست الأخلاق العالية ، سوى وسيلة للحياة . ولذلك قد يجوز لنا أن نقول ان البيت للمرأة . ولكن لايصح العكس

ثم ماهى الغاية من الزواج والبيت ؟

أليست هى سعادة الزوجين وأيضاً إنجاب الأطفال وتربيتهم ؟

إذا كان هذا هو الشأن فإن المرأة المتعلمة التى مارست عملا كاسباً قبل الزواج والتى اختلطت بالمجتمع فى مسئولياته المختلفة ، هذه المرأة هى خير من يربى الأطفال . إذ هى تعرف المناخ الاجتماعى الذى سيعيشون فيه

هى تعرفه ولاتجهله كالمرأة التى لم تؤد خدمة اجتماعية قبل الزواج

رئيسات للمحاكم

فى حديث للأستاذ الباقورى وزير الأوقاف سنة ١٩٥٥ بشأن زيارته للصين جاء قوله ان هناك ١٤٤ سيدة صينية يشغلن مناصب رئيسات للمحاكم . وبالطبع هناك نحو ضعفى هذا العدد من القاضيات أو أكثر ، لأن رئيسة المحكمة ترأس قاضيين من الجنسين . كما أن « رئيس » المحكمة يرأس كذلك مثل هذا العدد من الجنسين

وهذا الخبر يسر المفكر الشرقى الذى عرف حال المرأة الشرقية حين كانت « شرقية » تحافظ على تقاليد الذل والهوان التى ورثتها . فقد كانت المرأة الصينية تولد لتخضع ، وليس لتستقل . فكانت وهى فتاة تخضع لأبويها، فإذا تزوجت خضعت لحماتها . وكانت تخدر إذا كانت ثرية . وكان تخديرها يؤكد بوضع قدميها منذ الطفولة فى حذاءين من حديد حتى لا تنمو فتستطيع المشى عليهما . إذ لماذا تمشى ؟

أليست هى سيدة مخدرة قد وقفت حياتها على خدمة زوجها فى السرير؟ وأليست هى ثرية لها خدم ينقلنها من مكان إلى مكان؟ إن الطبيعة أخطأت فى تزويدها بقدمين

إلى هذا الحد كان انحطاط المرأة الصينية . وقد ساء وسفل بحكم التقاليد التى ربطتها بالماضى . وكان الشبان الصينيون الذين تعلموا فى أوربا وأميركا ، وعرفوا هناك المرأة المستقلة النشيطة التى تختار زوجها وتحبه ، وتتساوى به فى تبادل العاطفة والحب ، كانوا يدعون إلى حرية المرأة الصينية واستقلالها وإلى أن لها حقاً إنسانياً أصيلا فى ألا تتزوج سوى الرجل الذى تحبه . فكان منادرة الصين ، أى شيوخها الذين ورثوا ثقافة الظلام ، يتهمونهم بالكفر بالدين والخيانة للتقاليد

ولكن الدنيا تغيرت ، وغسل الصينيون عقولهم من هذه التقاليد كما يغسل الإنسان جسده من الأقذار التى تلوث بها . وأصبحوا يحترمون المرأة ويتيحون لها العمل والاختلاط بالمجتمع والإنتاج للوطن . كما أصبح الحب شرطاً للزواج والمساواة وأساساً للعشرة بين الزوجين

أصبحت المرأة الصينية إنساناً بعد أن كانت أنثى فقط

وحبين أن يرى الأستاذ الباقورى نفسه ، وهو شيخ أزهرى ، هذا النور من الشرق ، وأن يخبرنا عنه مع الإعجاب . فإنه رجل مخلص كما هو ذكى ، وليس فى مقدوره أو رغبته أن ينكر النور . هذا النور الذى نحتاج إلى شعاع منه

* * *

هذا بعض ما نعرفه الآن عن الصين . فماذا نعرف عن مصر ؟

لقد أرسلت إلى آنسة من ملوى تنبهنى ، وتكاد تسبنى ، لأنى أهملت التعليق على خبر عجيب . والواقع أنى لم أكن قد قرأته . ولو كنت لما

أهملت . خلاصة الخبر أن شاباً قصد المحكمة الشرعية كي يثبت وراثته لـ ١٢٨ فداناً من أمه ،فسأله القاضي عن اسم أمه. ولكن الشاب رفض الإجابة .. لأنه بحكم « التقاليد » فى الصعيد لايجوز ذكر الأسماء التى تتسمى بها أمهاتنا وبناتنا وأخواتنا

أليس الاسم بعض الشخصية ؟ وهل يمكن الصعايدة أن يعترفوا بأن للمرأة شخصية ؟

أين أنت يا مصر من الصين؟ هناك تعين المرأة رئيسة للمحكمة ، وهنا يحرم ذكر اسمها فى المحكمة ؟

لماذا ترى الصين شخصية المرأة ونحن هنا نلغيها ؟ أو على الأقل يحاول بعضنا إلغاءها ؟

إنى بالطبع لا أنسى أن مثل هذا الحادث شاذ . وأن التقاليد ليست لها عندنا كل هذه القوة إلا فى بيئات منعزلة لم تمسها الحضارة العصرية مثل ملوى. ولكن هل يجوز لنا أن نهمل الصعيد إلى هذا الحد ؟ وأن نترك تقاليد الظلام تخنق نساءنا ؟

أعظم مظاهر النهضة الصادقة فى أية أمة هو نهوض المرأة التى تطرح بقايا الاستبداد والاستعباد وتستقل من سجن المنزل إلى ميدان المجتمع لتعمل وتكسب

ونحن فى مصر لانحيا الحياة المليئة . فإننا نتزوج بلا حب . إذ لايمكن الحب بلااختلاط سابق يكون فيه الحديث واللقاء والمسايرة وتبادل الدعوات . ونحن نقاطع جميع هذه الوسائل على التعارف فنمنع الحب بين الشاب والفتاة

وما دامت الفتاة لاتختلط بالمجتمع فإن مصادفة لقائها للشاب الموعود تبقى بعيدة، بل أحياناً مستحيلة. ولذلك شبابنا وفتياتنا تعساء قد حرموا الحب لأنهم حرموا الاختلاط

وحين تعمل المرأة فى المجتمع، موظفة بالحكومة، أو عاملة فى المصنع، أو كاتبة أو بائعة فى المتجر، أو حين تستقل وتدير حانوتاً للبقالة أو الأقمشة أو نحو ذلك، عندئذ فقط تجد الفرصة للقاء الشاب الذى يحمل معه وعد السعادة الزوجية

ثم هذا النشاط الاجتماعى الذى تقوم به المرأة فى أوربا وأميركا وفى الأمم الناهضة مثل الصين والهند قد زاد مقدار الخدمة والإنتاج ليس فى الكم وحده بل فى الكيف أيضاً. ذلك أن السيدة التى تؤدى واجب القضاء فى المحكمة تكسب العدالة لوناً آخر غير اللون الذى يكسبها إياه الرجل. إذ هى تنظر برحمة جديدة لم يكن يعرفها الرجل. والرحمة هى عدالة العدل. فإن قضايا الزواج والطلاق، ومشكلات الصبيان والنفقة للأطفال، ورعاية الأبناء القاصرين، كل هذا تفهمه المرأة فهماً آخر غير مايفهم الرجل. ولذلك نحن ننتفع بوجودها على منصة القضاء. ننتفع فى الفهم والعدل. ذلك لأن فهم الرجل لهذه الشئون هو فهم متحيز. وكذلك فهم المرأة لها هو فهم متحيز. وإنما نجد العدل الصادق عندما نجمع بين الفهمين

لقد كانت المرأة المصرية غائبة عن مؤتمر باندونج. فإن جميع المندوبين من كبار الساسة ورؤساء الدول ووزرائها كانوا قد اصطحبوا معهم فتيات عضوات أو سكرتيرات. إلا مصر

لقد كان مؤتمر باندونج خطوة نحو الأمام فى مكافحة الاستعمار ، والتفاهم بين أمم آسيا وأفريقيا التى سرقها الاستعمار وأذلها وحرمها التعليم والثراء والصناعة والصحة . وكان حضور المرأة فيه برهاناً على أن هذه الأمم قد تحدت الاستعمار وألغت أساليبه

نعم ، أساليب الاستعمار فى احتقار المرأة

ألم نعرف فى مصر أن الناظرة الإنـكليزية لمدرسة السنية الابتدائية كانت تحتم على تلميذاتها اتخاذ البرقع فى حين كان قاسم أمين يدعو إلى إلغائه ؟

لماذا كان يفعل الاستعمار ذلك ؟

لأنه كان يعرف ، بل يوقن، بأن حجاب المرأة وانفصالها عن الرجل فى مصر يمنع بلادنا من التقدم ويجعل مجتمعنا متأخراً

ومع ذلك ذهبنا إلى باندونج دون أن نعلن تغيرنا ، وأننا قد ارتفعنا بالمرأة المصرية إلى مستوى جديد من الحضارة والاجتماع

ذهبنا إلى باندونج نمثل مصر بلا نساء . كأننا كنا نمثل الرجال المصريين فقط

وكان موقفنا هذا لا يشرفنا

لذلك يجب أن نزور الهند والصين ونرى بأعيننا ماذا فعل الهنود والصينيون للارتفاع بنسائهم نحو المستوى الإنسانى . ويجب أن نتعلم منهم ونقتدى بهم

سفيرات ووزيرات

لا يكاد يمر شهر حتى ينعقد مؤتمر أو مؤتمرات تدعى إليها مصر للبحث فى شئون الصحة، أو الزراعة، أو التعليم، أو الشئون الإجتماعية. أو غير ذلك. ونحن نرسل إليها مندوبينا من الرجال فقط.

ولكن مندوبينا هؤلاء يجدون عندما تطأ أقدامهم نيويورك أو بودابست أو لندن أو روما أن هناك مندوبات إلى جنب المندوبين من شعوب العالم يسألن ويدرسن ويناقشن

ذلك لأن جميع الشعوب المتمدنة قد سبقتنا إلى تعليم المرأة وإلى رفعها إلى مستوى الرجال فى تحمل الأعباء الوطنية ثقافية كانت أم اجتماعية أم صحية. وقد فتحت لها أبواب الوظائف الصغرى والكبرى داخل بلادها وخارجها

فإن مصالح البريد مثلا فى جميع الأقطار الأوربية تعمل فيها النساء، آنسات وزوجات، أكثر مما يعمل الرجال. بل ليس غريباً أن تدخل مكتباً للبريد فى أحد الأحياء فى باريس أو لندن فلا تجد رجلا واحداً. ولكنك تجد نحو عشر نساء يقمن بجميع الأعمال البريدية

وكذلك الشأن فى التعليم الإبتدائى ، فإن المرأة تكاد تحتكره دون الرجل. وليس غريباً أن تجد مليون معلمة فى أوربا ونحو هذا العدد بل أكثر فى القارة الأميركية . وقد اتضح أن المرأة تحسن تعليم الصبيان الصغار أكثر مما يحسنه الرجل ، لأن قلبها ينطوى على إحساس الأمومة

وتتدرج المرأة فى الوظائف الحكومية إلى أن تبلغ أعلى المناصب . كما أن هناك من الأعمال الحرة ما يستوعب الملايين من النساء

وكل هؤلاء النساء منتجات

إن شعوب أوربا تنتج الإنتاج العظيم لأن رجالها ونساءها يعملون فى المصانع والمتاجر والوظائف . أما نحن ، الأمة العربية ، فلا ينتج عندنا غير الرجال . والقليل جداً من النساء . ومن هنا ضعف إنتاجنا ثم فقرنا الأسود الشامل

نحن فقراء لعدة أسباب ، منها سبب واحد يرجع إلى أننا نمنع النساء ، آنسات وزوجات ، من الإنتاج . ونحن - فى مصر - نبلغ ٢٢ مليوناً (١٩٥٥) منهم على الأقل نحو سبعة ملايين آنسة أو سيدة لا يعمل فى الإنتاج العام منهن سوى أقل من ربع مليون فى المدن . أما فى الريف فإن بعضهن يعملن فى الزراعة على الطرق الغشيمة القديمة

ونحن فى هذا العالم فى « تنازع بقاء » مع الأمم الأخرى . فإذا كانت هذه الأمم تستخدم نساءها مثل رجالها فى الإنتاج العام ، فإننا لن نبلغ شأوها فى الثراء إلا إذا استخدمنا نساءنا أيضاً مثلها فى الإنتاج . وهذا منطق لا نستطيع أن نفر منه

وقد ارتفعت المرأة إلى مستوى الرجال فى المناصب العليا إلا

فى مصر . ولذلك نحن نجد الوزيرات والسفيرات فى جميع الأمم المتمدنة تقريباً إلا فى مصر . وكلما انعقد مؤتمر ظهرت النساء نائبات عن الهند أو أميركا أو بريطانيا أو غيرها إلا مصر ، فإنه لا تظهر فيها امرأة نائبة عن وطننا

وقد كانت هذه الحال ملحوظة فى مؤتمر باندونج الأخير

وللمؤتمرات قيمة فى الدعاية . وأية دعاية أسوأ من أن تكون لكل أمة مندوبات إلا مصر ؟

ألا يعيبنا أن تساوى أمم آسيا وأميركا وأوربا بين الجنسين ونحن نميز الرجال على النساء ؟

كانت النظم الإقطاعية عندنا تجعل المرأة بعيدة عن المجتمع وعن الإشتراك فى شئون الحكم . وقد زالت النظم الإقطاعية ولكن بقيت العواطف التى نشأ الشعب عليها قبل زوالها . ومن هنا هذه الكراهية ، أو هذا النفور ، من التسليم بمساواة المرأة بالرجل وتكليفها الواجبات التى يكلف هو مثلها

وقد كانت وزاراتنا الإقطاعية القديمة قبل الثورة ، تنفر كل النفور من المساواة بين الجنسين . وأيما اقتراح كان يقدم إليها بشأن تعيين امرأة سفيرة أو وزيرة لا يمكن أن يلقى غير الإحتقار والاستهزاء والإهمال

ولكننا الآن فى عصر جديد نقول فيه بديمقراطية الشعب

ديمقراطية الشعب كله ، وليس ديمقراطية نصفه ثم إهمال النصف الآخر

لقد كان الاستعمار ينكر الديمقراطية على رجالنا

ولكن رجالنا ، أو بعضهم من الجامدين المتخلفين ، ينكرون هذه

الديمقراطية على نساء مصر ، على نصف الشعب المصرى

وهذا مع أن أى منطق يقول ،بل يصرخ، بأنه لا يمكن ارتقاء شعب إذا كان نصفه فقط هو الذى يتولى الأعباء ويكلف الواجبات الوطنية والإجتماعية . ولذلك سنبقى متخلفين اجتماعياً ، وفقراء اقتصادياً ، إلى أن نساوى بين الجنسين .ونجعل المرأة تنتج كالرجل سواء وتمارس حقوقها الإجتماعية والدستورية والمدنية مثله سواء

يجب أن ننهض بالشعب كله وليس بنصفه

ثم يجب ألا نهمل الرموز

ان ارتقاء المرأة رمز لارتقاء الشعب

وقد حفظ الأوربيون هنا كلمات ورموزاً سيئة، بل غاية فى السوء . ولذلك يجب أن نلغيها ونمسحها من رءوسهم بأن نجعل منا وزيرات ، وأيضاً سفيرات،كما فعل نهرو . حتى يراهن الأوربيون فينكروا ما تعلموه عنا

انى أستطيع أن أذكر أسماء خمسين بل مائة سيدة مصرية يمكن أن نجد فيهن من تليق لعمادة الكليات أو إدارة الجامعات،ومن تليق بأن تكون سفيرة أو وزيرة . بل أزيد على ذلك بأن أقول بأنه لو كانت لنا وزيرات فى الحكومات السابقة للثورة لما تردينا إلى الهوة التى أردانا فيها فاروق ووزراؤه من الإقطاعيين الذين كان ينشد معظمهم من الوزراء شراء الضياع وبناء القصور وشراء السيارات والذهبيات ، والاصطياف فى الأسكندرية أو فيشى

ان النساء أقنع وأقصد

ان كلمة « مجتمع » فى مصر لا تؤدى المعنى الذى يفهم من المجتمعات الأوربية. ذلك أن النساء والرجال يجتمعون هناك فيتألف منهم «مجتمع»، ولكننا نفصل فى مصر بين الجنسين . وأولى بنا لهذا السبب أن نسمى مجتمعنا « المنفصل » حتى ينطبق اللفظ على المعنى

اننا نعيش فى حضارة قد انتهت بالتسليم بالمساواة بين الجنسين. ويمكن أن نقول أننا لا نعيش فى هذه الحضارة ولكننا ننشد هذا الأمل. وهذه الحضارة أجزاء لا تتجزأ . فلا يمكن أن نأخذ بجزء أو أجزاء منها ثم نترك الباقى

وقد توافت أجزاء هذه الحضارة ووسائلها إلى جعل البيت خالياً من الواجبات المنزلية التى كانت تحيا فيها جداتنا . وهى واجبات كانت تشغل المرأة عن الاهتمامات الإجتماعية والسياسية والثقافية . إذ كان عليها أن تطبخ وتغسل وترشح الماء وتكنس . بل كان عليها أحياناً أن تعجن وتخبز وتخيط ملابسها وملابس أطفالها . أما الآن فإن جميع هــذه الواجبات قد أحيلت إلى غيرها . أو هى قد صارت تؤدى فى يسر وسرعة بحيث تقوم الدقيقة مقام الساعة ، وبحيث لم تعد تجهد المرأة أقل الجهد . وكذلك أصبحت المرأة ، من الطبقة الثرية والمتوسطة، عاطلة فى البيت أو شبه عاطلة . وهذه الحال نفسها هى التى حملت المرأة ، فى أوربا وأميركا ، على الخروج إلى المصانع والمتاجر وعلى أن تنشد بناء شخصيتها فى آفاق المجتمع الواسعة بدلا من أن تقعد عاطلة فى البيت لا تجد عملا تؤديه

وقد أصبح كثير من سيداتنا فى مثل هــذه الحال . وقد تعلمن واختلطن بالمجتمع ، ولكننا حرمناهن من القيام بالواجبات الوطنية

وتركناهن فى عطلهن يرفهن عن أنفسهن أحياناً بالعبث لأنهن لا يجدن الجد . أو يقضين وقتهن فى سأم وسخط وهن معذورات

والجد هو أن نقدم لهن الفرصة لخدمة بلادهن بالعمل المنتج

والفرصة الصارخة لنا فى الوقت الحاضر هى أن نعين المرأة الكفء للعمل الكفء . وأن نستغل الجديرات كى يمثلننا فى المؤتمرات والسفارات والوزارات ، حتى يخدمننا وحتى يزلن ما يتهمنا به الأوربيون من التهم التى تجرح كرامتنا الوطنية ، والتى تجعلنا نبدو أمام العالم المتمدن كما لو كنا فصيلة منفصلة من المجتمع البشرى

وهنا خبر أرجو أن يكون بشرى

هو الخبر الذى ذكرته الصحف هذا الصباح بأنه سيكون لنا برلمان فى يناير القادم يمثل الشعب المصرى

ان برلماناً مصرياً يجب أن يحتوى الأعضاء من الرجال والنساء

الرقص والشخصية

الرقص إلى المشى هو كالشعر إلى النثر

هو إيقاع له قوافيه . بل له قصائده

وكما يطرب الصبى ويثب ويمرح ، ويصفق بيديه ، كذلك يطرب الشاب أو الفتاة فيرقصان فى إيقاع

والذى جعل الرقص مكروهاً فى مصر أنه كان قد انحط وسفل حتى صار حركات جنسية يشمئز منها الرجل السامى والمرأة السامية . والذى أحدر الرقص المصرى ، بل الشرق كله ، إلى هـذه الحال التعسة هو تفشى الرق

فإن هذا النظام كان يحيل المرأة التى تشترى بالقرش والمليم إلى إداة إغرائية تحرك الشهوات الجنسية عند سيدها . فلما زال الرق بقيت عندها تقاليدها فيما كنا نسميه « الرقص الشرقى » أو « الرقص المصرى »

والحقيقة أنه لم يكن « مصرياً » . فإن الرقص المصرى لا تزال رسومه ونقوشه فى أحجار المعابد المصرية القديمة ، وهو حركات رياضية كان يقوم بها الرجال والنساء احتفالا بمحصولات الأرض ،

أو بالحرب ، أو فى الجنازات

كان جداً فى جد . وكان يؤدى فى طرب الفرح وفى طرب الحزن

وقد استطاعت الراقصة المشهورة«ايزيدورا دنكان»أن تحي الرقص المصرى وأن تؤسس له مدرسة . ووجدت الإقبال والتقدير

ومع أن كلمة رقص يونانية ؟ كما يتضح ذلك فى كلمة أوركسترا ،فإن العرب كانوا يرقصون . ولا يمكن إلا أن نعتقد ذلك لأننا نجد أن داود النبى كان « يرقص للرب » كما جاء فى التوراة

وقد كان الرقص « المصرى »شناعة من الشناعات ، حتى اضطرت الحكومة إلى إلغائه . إذ لم تكن الراقصة تمثل سوى الشهوة الجنسية ، وكانت تمثلها فى إسراف وقبح . ومن هنا كانت نظرتها ، وهى ترقص ، إلى أسفل ، كى تبرز محاسنها بل مقابحها السفلى

كانت تمثل الأمة بعدإلغاء الرق . تلك الأمة التى كانت تعلم وتدرب على هذه الحركات التى كانت تؤذى الإحساس والعقل عند الرجل الذى يحب الجمال فى الإنسان ، وليس الحيوان فى الإنسان

وارتفاع الرقص إلى مقام الفنون الجميلة فى أوربا ، واختصاص المرأة بالقسط الأكبر منه ، هما برهان على الإرتقاء الإجتماعى . أى الإرتقاء الفنى فى المجتمع

وقد وصفت الرقص المصرى بالإنحطاط لأن الراقصة تنظر إلى أسفل . أى أن إحساسها هنا جنسى

ووصفت الرقص الأوربى بالإرتقاء لأن الراقصة تنظر إلى أعلى . أى أن إحساسها هنا فنى

وأستطيع أن أقول مع الحزن والأسف . أن النظرة الإجتماعية للمرأة فى أوربا قد أوجدت الرقص الأوربى فى سموه ونشاطه ، كما أقول أن النظرة الإجتماعية للمرأة فى البلاد الشرقية والعربية قد أوجدت هذا الرقص الذى نكرهه والذى تخلصنا منه

ألسنا نقول فى مصر ، وفى الشرق كله ، بسيادة الرجل على المرأة . وأن المرأة للبيت الذى هو مكانها «الطبيعى» . وأن مهمتها الأولى هى الزواج . وأن دعوة الاستقلال التى تدعوها الناهضات من النساء هى دعوة زائفة بل كافرة ؟

هذه النظرة للمرأة هى التى توحى إلينا بأن مهمتها الجنسية هى كل شىء ، وأن الرقص يمكن أن يكون جنسياً . ونسرف بعد ذلك إلى حدود الشطط فيرضى بعضنا بأن يجد فى الرقص المصرى معانى جنسية نشمئز منها

ولكن المرأة الأوربية التى استقلت ، والتى عملت وكسبت واشتركت فى المجتمع ، تجد أن لها كبرياء تمنعها من أن تمثل هذا التمثيل الجنسى السافل

وكان ثم نتيجتان :

الأولى أن الرقص ارتفع إلى مقام الفنون الجميلة فى أوربا فصارت الفتيات من غير المحترفات للرقص يرقصن

والثانية أن الرقص انخفض إلى مقام التهتك والتبذل عندنا حتى اضطررنا إلى مقاطعته وإلغائه

وأنا لا أقول بالرقص للسيدات المتزوجات ، ولكنى أقول به للآنسات والشبان . وأعنى بالطبع الرقص الأوربى

ذلك أن لهذا الرقص تأثيراً كبيراً ، بل كبيراً جداً ، فى تكوين الشخصية ، شخصية الشاب وشخصية الفتاة

فإن شبابنا يعيشون فى مجتمع انفصالى يفصل بين الرجل والمرأة ، أى فى مجتمع غير اجتماعى . وهم لذلك لا يحسنون اختيار الزوجة ، كما أن الزوجة لا تحسن اختيار الزوج

إذ كيف يحسن أحدهما ذلك بلا اختلاط سابق ؟

ولكن الرقص يدرب كلا منهما تدريباً اجتماعياً على المؤانسة والشهامة والرشاقة ، كما أنه سبيل إلى التعارف

وأخيراً يجب أن نذكر ، ولا ننسى أبداً ، أن الراقص لا يمكن أن يقع فى الشذوذ . لأن الرقص يعوده الإتجاه نحو المرأة ، والمرأة فقط . فهو يسدد نظرته الجنسية نحو هدفها الطبيعى . وكذلك الشأن فى المرأة

ولكن الشاب الذى يحيا نحو ٢٥ أو ٣٠ سنة ، وهو لا يختلط بالجنس الآخر ، ولا يرقص ، فإن احتمال سقوطه فى الشذوذ كبير جداً

الموسيقى والرقص فى أوربا يعدان من تقاليد الشعب ، وكلاهما إيقاع . إيقاع الصوت وإيقاع الحركة .

ولكل منهما مركبات تنتقل إلى كيان الشخصية الاوربية . فإن الرقص لا يتفق وانبعاج البطن وبدانة الجسم ، ولذلك تحرص كل فتاة وسيدة على أن يكن نحيفات . بل انهن يفهمن الرشاقة على أنها قبل كل شئ نحافة : قامة عالية وخصر صغير وصدر ناهد.

وقل أن تجد أوربياً أو أوربية لم يتعلم الموسيقى فى صباه أو شبابه على إحدى الآلات التى أهديت إليه ، أو لم يتعلم الرقص

والرقص هو المرانة الإبتدائيـة للحب . وهو أعظم ما يصد عن الشذوذ والعادات الخفية وعذاب الخواطر الجنسية المضنية والبعد عن الحقائق . إذ هو يجمع بين الشاب والفتاة فى شهامة واحترام وطرب . فلا يتجه الشاب إلى الشاب، ولا تتجه الفتاة إلى الفتاة . وإنما يتجه كل جنس إلى الآخر . أى أن الرقص مرانة على السداد أو الصحة الجنسية

وقد يقال أن فى الرقص اشتهاء جنسياً . وهذا صحيح . ولـكن هذا الإشتهاء الجنسى نجده أيضاً فى الشارع حين يرى الشبان الفتيات بلا حاجة إلى الرقص. ولـكن الرقص يسدد ويصحح هذا الإشتهاء ، حتى لا يكون مريضاً أو شاذاً

ترى لو أن أبا نواس كان يعيش فى مجتمع مختلط يجد المرأة فى السوق والمجلس والمكتب والمتجر، هل كانت غريزته الجنسية تزيغ ويفسد هو منها كما يفسد غيره من الشبان ؟

ان أعظم ما يقى المجتمع من الشذوذ الجنسى ، وهو أحط ما يمكن أن يتخيله إنسان فى فساد الطبيعة البشرية ، هو الإختلاط بين الجنسين . وأعظم مرانة على الصحة الجنسية هو الرقص

هذا هو الرقص الازدواجى ، أى الرقص العام بين أفراد الشعب

ولـكن هناك رقصاً آخر تختص به الفنانات اللائى يقمن به منفردات أو جماعات . بل أحياناً يختص به الفنانون من الرجال

وهنا نرى الراقصة فى صفاء بشرتها واندماج جسمها تتحرك عضلاتها فى انسياب . وهى حين ترقص تثب وتمرح وتخطف على ساقين مندمجتين ترفس بهما كما لو كانت جواداً يأرن ويمرح . وتحسبها وهى فى اندفاق

إيقاعها ويسر حركتها، وانطلاقها وارتقائها إلى أعلى، إنها ترقص في الهواء

وفرق عظيم بينها وبين الراقصة المصرية . فإنها تنجذب نحو السماء وتنظر إلى أعلى في حين تنجذب الراقصة المصرية نحو الأرض وتنظر إلى أسفل ، إلى كتفيها وبطنها وساقيها

الأولى تنطلق وتثب في مرح الحياة وطرب الحركة ويقظة الجسم

والثانية تنطوى وتتثنى في كسل الشهوة ونعاس الجسم وارتخاء الأعضاء

ولذلك نحن نحس الشهامة حين ننظر إلى راقصة أوربية، ونحس الهوان والضعة حين ننظر إلى راقصة شرقية

والحكومات الأوربية معاهد لتعليم الرقص والموسيقى حبذا لو أن حكومتنا تدرسها ، وتبعث البعثات من الشبان والفتيات المصريين إليها، وتنشىء مثلها في مصر

هناك محك أو امتحان لحركات الرقص، هل هي مما يرفعنا أو يسقطنا ؟ وذلك بأن نسأل، هل نرضى لزوجاتنا وبناتنا وإخواتنا وأمهاتنا أن يؤدين هذه الحركات أم لا ؟

ان أي إنسان يرضى لابنته أن تؤدى حركات الرقص الأوربية . كما أن أي رجل يرضى أن يؤدى حركات الرقص التي يؤديها الرجال في أوربا . ولكنى لا أرضى لابنتى أو أختى أن تؤدى حركات الرقص المصرية

أليس هنا البرهان الواضح على أننا غير راضين عن الرقص المصرى؟ ثم أليست لنا فطنة تبعثنا على التأمل والتساؤل : لماذا لا يرقص

رجالنا منفردين ؟

ذلك لأن الرقص المصرى لم يرتفع إلى مرتبة الجد حتى يرضاه الرجال لأنفسهم . لأن الرقص جد وأن يكن مرحاً . هو مرح فى جد

كنت قبل أربع سنوات (١٩٥٥) فى فرنسا ، وعرفت أن جامعة باريس تقيم حفلتين راقصتين كل أسبوع مساء السبت والأحد. وفى كل من هاتين الحفلتين تعزف الأوركسترا الجامعية على إيقاعات الرقص . ويحضر هذه الحفلات الطلبة والطالبات والمعلمون، بل وزير المعارف نفسه

ولكنه رقص جميل ، كله إيحاء إلى الشرف . وهو يعلم الجنسين ، الشاب والفتاة ، الرشاقة فى الحركة ، والرقة فى الايماءة والعذوبة فى الكلمة . بل هى تدريب على الحب وتهيئة للزواج . ثم هو مرح وطرب من حق كل شاب وكل فتاة فى الدنيا ألا يحرماهما

ولكن الرقص الاوربى ، فوق أنه متعة للشباب ، هو أيضاً حاجة اجتماعية وصحية لهم . ولا يمكن مجتمعاً سليما ، أن يستغنى عن الرقص

ولذلك أنا أنادى راقصاتنا : أنظرن الى أعلى حين ترقصن، وارقصن مثل «بافلوفا». وأنادى أساتذة جامعاتنا : علموا شبابنا وفتياتنا الرقص حتى تكفل به لهم الصحة الجنسية، وحتى يتهيأوا به للحب الجميل . أوجدوا لنا فرقة للباليه . أمتعونا وعلمونا وصححوا غرائزنا حتى لا نكون نواسيين

قوات التحرير الجديدة

ظهرت فى عصرنا عوامل جديدة للتحرير للمرأة والرجل معاً

ذلك أن الأعمال الانتاجية القديمة فى الزراعة والصناعة كانت يدوية تجرى بمساعدة الماشية . فكانت تقصم الظهر لما يعانى العامل فيها من المشقة . أما الآن فإن الأعمال الانتاجية لا تستخدم من الانسان فى أغلب الحالات سوى إشرافه بالعين والعقل مع القليل من استخدام عضلاته

والمصنع الاتوماتى الذى يفشو هذه الأيام كثيراً فى الأمم المتمدنة ، لا يكاد يتطلب من العمل سوى ضغط زر هنا أو هناك ، وملاحظة مصباح يضىء بالضوء الاحمر أو الضوء الأخضر ، والاستماع إلى جرس ينبه عن خطأ أو نحو ذلك

ولسنا نقول أن المصانع كلها قد وصلت إلى هذه الحال . ولكن بعضها قد وصل . وسائرها يتجه نحو هذه الغاية

وبكلمة أخرى نقول أن الانتاج فى الزراعة والصناعة لم يعد يتجاوز قدرة المرأة ، حتى المرأة الحامل

وقد دخلت المرأة فى المصانع وحررت نفسها من الحاجة إلى زوج يعولها . وأصبح الملايين من النساء يعملن ويكسبن عيشهن وهن عزباوات أو متزوجات . وحصلن بذلك على كرامة اقتصادية جديدة جعلت الأزواج يحترمونهن . ولم نعد نرى ذلك الزوج القديم الذى كان يضرب زوجته أو يهينها اعتماداً على أنه هو وحده كاسب العيش

وصارت المرأة بقدرتها على الكسب تختار زوجها وفق إملاء قلبها. ولم تعد تتزوج الثرى الذى يشترى قلبها بالمـال

وهذا الاتجاه إلى تحرير المرأة بالعمل فى المصانع سيزداد قوة كلما تقدمت الحركة الأتوماتية التى أشرنا إليها فى المصانع . لأن القوة العضلية فى الرجل سوف تزول أو تنقص قيمتها كثيرا كلما زادت هذه الحركة . وعندئذ لن يقل عدد العاملات فى المصانع عن العمال

وهناك أيضاً وسائل تحديد التناسل والامتناع عن الحمل . فإن المرأة الجديدة صارت تقنع بأن تلد طفلين أو ثلاثة أطفال فقط . وهم بالطبع لا يمرضون ولا يموتون كما كانت الحال فى القرن الماضى لأن الوسائل الوقائية والعلاجية للأطفال قد زادت . وهذه الحال جعلت المرأة ، أى الزوجة ، حرة فى أن تستغل فراغها فى ترقية ذهنها وتربية شخصيتها بالاختلاط بالمجتمع والعمل للكسب مثل زوجها سواء .

وليست تربية الأطفال مما يعوق المرأة فى أيامنا عن نشاطها واستغلالها . فإن الطفل قبل أن يتم سنتين يبقى بالمحضن وبعد ذلك يدخل الروضة . وكلاهما أصلح له فى تربيته والعناية به من عناية الأم التى قد تجهل وسائل التربية

وكذلك الشأن فى البيت . فإن الطبخ بالضغط ، والأطعمة المجهزة المعلبة ، والتليفون ، والغسالة الكهربائية ، والمكنسة الكهربائية ، وسائر المخترعات الأتوماتية ، قد جعلت ربة البيت العصرية لا تكاد تؤدى عملا مجهداً فى بيتها . بل هى لا تجده . وفى هذه الحال الجديدة تحرير جديد للمرأة

وهذا الفراغ الجديد سيحمل المرأة على أن تعنى بالمجتمع ، وتنشر الاختبارات ، وتحيا الحياة الانسانية بمسئولياتها العديدة ، سياسية وإنتاجية وشخصية وعائلية أكثر مما كانت تفعل جدتها أو أمها

والقائلون بحجاب المرأة أو بأن البيت هو حقلها الاول يجب أن يسألوا أنفسهم : لم تلزم المرأة البيت أكثر مما يلزمه الرجل ؟

إن الطبخ والغسل والتنظيف بالقوة الكهربائية لا يحتاج إلا إلى دقائق ، والتليفون يملى على البقال والجزار قائمة المطلوب منهما ، والثلاجة تحفظ مئونة أسبوع أو أكثر ، وتربية الأطفال فى المحضن ثم فى الروضة ، خير من تربيتهم فى البيت . فماذا تفعل المرأة بالتزامها البيت ؟

إن المخترعات الجديدة تخدم ارتقاء المرأة لأنها حررتها من مشقة العمل فى البيت والمصنع وزادت فراغها الذى تستطيع ، بل يجب ، أن تستخدمه فى تربية شخصيتها وترقية عائلتها ومجتمعها

وإذن فلتدخل المرأة فى المجتمع المصرى كى تزيده بهاء بجمالها ، وحيوية بنشاطها ، ولتعمل إلى جنب الرجل فى جميع أنواع الارتقاء الشخصى والاجتماعى

وزارة للعـــائلة

جاء فى أحد الأخبار الخارجيـة أن إحدى دول الشمال الغربى فى أوربا ، لعلها سويد أو نرويج ، قد قررت إيجاد وزارة للعائلة، وذلك على أثر ما اتضح فى السنوات الأخيرة من تفاقم الطلاق بكثرة الراغبين فيه وتشرد الأطفال بسبب الكثرة فى الطلاق

وسوف يكون هدف هذه الوزارة بحث الأسباب التى تؤدى إلى التنافر بين الزوجين ، ثم تشجيع الآباء على التناسل المعقول ، ورد المكانة إلى البيت حتى يعود كما كان قبل السنوات الأخيرة مكان الولاء والحب والضيافة والتسلية والقراءة والطبخ الراقى والإقامة المريحة ونحو ذلك

وأنا أوثر استعمال كلمة عائلة التى اخترعناها قبل أكثر من نصف قرن على استعمال كلمة أسرة التى تشيع خطأ على أقلام كتابنا

ذلك أن الأسرة غير العائلة

فإن معجم أقرب الموارد يقول عن الأسرة أنها : « رهط الرجل وأهل بيته لأنه يتقوى بهم» ، ويصف الرهط بأنه : «قوم الرجل وقبيلته» وواضح من هذه التعاريف أن كلمة « أسرة » لا تدل على المعنى الذى

نعنيه منها فى أيامنا . وقد سبق للأستاذ عبد القادر المغربى أن أوضح هذا قبل نصف قرن

ومع ذلك نحن نحتاج إلى الكلمتين . فإننا نحب أن نحدد معنى « العائلة » بحدودها العصرية ، أى أنها الزوجان وأبناؤهما لا أكثر . أما الأسرة فيبقى معناها كما هى . أى الزوجان وأبناؤهما والأخوال والأعمام . أى الرهط

ولنا مصلحة كبيرة فى التمييز بين الكلمتين . لأن هذا التمييز يزيد فهمنا وذكاءنا

فنحن نرث أخلاقنا وعاداتنا الإجتماعية من العائلة فقط ، أوكذلك فى الأغلب

ونحن نرث كفاءاتنا الجسمية والذهنية من الأسرة . أو كذلك فى الأغلب

وعلى هذا الأساس نقول أننا فى حاجة إلى وزارة للعائلة . وليس للأسرة .

العائلة هى أساس المجتمع . سواء كان هذا المجتمع يحيا على المبدأ الإنفرادى فى العيش مثل الأمم الغربية ، فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة ، أم يحيا على المبدأ الإشتراكى مثل روسيا والصين وبولندا ويوغوسلافيا

وعائلة حسنة تعنى مجتمعاً حسنا . وعائلة سيئة تعنى مجتمعا سيئا

والتربية الصحيحة لكل إنسان ، والتى لا يمكن أن تقارن بها أية تربية ، هى التى نحصل عليها فى السنوات الأربع الأولى من أعمارنا . أما

بعد ذلك فلا نكاد نحصل على أية تربية ولو عمرنا إلى سن السبعين أو الثمانين . وهـــذه السنوات الأربع الأولى هى سنوات الطفولة مع الإبوين . ويجب أن تقضى فى بيت يحوى إشعاعات من الحب والوئام والذكاء والطيبة والجمال . فإذا كان الزوجان يتنافران فإن الإبن يشقى بهما بدلا من أن يسعد. وتتكون فى نفسه عقد تلازمه طيلة عمره وتتعسه

وغضب الأم الذى يحملها على ترك الأب ، وغضب الأب الذى يحمله على البقاء خارج البيت معظم وقته ، ثم الطلاق الذى يجعل الأبناء يتامى أو يعرضهم للمعاملة القاسية ، أو التى تخلو من الحب ، على أيدى آباء غير آبائهم ،كل هذا يحمل الأطفال على التشرد النفسى لأنهم يفقدون مكان الولاء والحب ويفقدون القدوة ويفقدون حقهم فى الأبوة

وهذا التشرد النفسى فى الأطفال يحملهم على التشرد العاطفى ، ثم المهنى ، ثم الجنوح إلى الإجرام ، ثم السقوط

نحن البشر نحتاج إلى روابط تربطنا بهذه الدنيا . وأمتن هذه الروابط هو الأم . ثم الأب . أى العائلة . ثم هناك روابط أخرى نعرفها بعد أن يكتمل شبابنا ، مثل الثقافة والإنسانية والدين والشرف إلخ

ولكن إذا فقدنا الرابطة العائلية بطلاق الأبوين ، ونحن فى الطفولة ، فإننا فى حكم المتشرد الذى لا يرتبط بأى رباط عاطفى أو ذهنى . ولن تنفعه الارتباطات الأخرى ، بل هى لا تنشأ

وقد يكون التجاء الأب إلى زوجة أخرى زيادة على زوجته الأولى مساوياً فى المساوىء والأضرار للطلاق . بل أحياناً يزيد . لأنه يحدث تفاوتاً فى المعاملة يحسه الطفل ، كما يثير الشجار بين الزوجين ، ويجعل

من البيت مكاناً للقلق عند الطفل

وهو قلق يحسه الطفل ويجد أسبابه وهو صغير ، ولكنه يحسه ولا يعرف أسبابه بعد ثلاثين سنة فلا يفهم منه إلا أنه مريض شاذ يحتاج إلى العلاج النفسى

الطلاق وتعدد الزوجات هما كارثة المجتمع المصرى . إذ ليس لنا عائلة لوجودهما . والعائلة هى الأساس الذى تبنى عليه المجتمعات

ونعنى عائلة ثابتة لا تتزلزل بمتوسط مرة كل خمس أو عشر سنوات بالطلاق أو بزيادة زوجة أخرى تحيل البيت إلى مكان للأسرة (أى الرهط) ، وليس للعائلة أى الزوجين وأبنائهما فقط

نحتاج إلى وزارة للعائلة تكون وزارة التموين الحاضرة جزءاً منها بل جزءاً صغيراً . لأن اهتمامنا بالأكل يجب أن يكون صغيراً إلى جنب اهتمامنا بجعل البيت هنيئاً فى شئونه الأخرى . وخاصة شأن الحب بين الزوجين . وشأن الحب بين الأبوين والأبناء . وشأن المكافحة للطلاق وتعدد الزوجات . وشأن تسهيل الزواج بين الشبان والفتيات ، زواج بلا مهر أو أثاث . إننا نحتاج إلى « بيت » يتألف من أبوين وأبناء وحب وثقافة وضيافة . ولا نريد أن نقنع بأن نقيم فى « منزل » للأكل والشرب

ومع ذلك سوف يكون لوزارة العائلة أكبر الاهتمام ببناء المنازل وأكبر الاهتمام بصحة الأفراد فى العائلة . وأكبر الاهتمام بالشيخوخة عندما يسن الأبوان ويعجزان عن الكسب

بل يجب أن نهتم بالعائلة قبل أن تبدأ . وذلك بتعليم الشبان والفتيات وقت عزوبتهم ، أى قبل الزواج ، تلك التفاصيل الدقيقة السامية عن

الحب والحياة الزوجية وشرف الأمانة الزوجيه وجمال الجسم وجمال النفس . ويجب أن نعرفهم عما يحتاجون إليه من معانى الوراثة والبيئة والمرض الوراثى إلخ

وبكلمة أخرى يجب على وزارة العائلة أن تؤلف كتاباً عن الحب والسعادة بين الزوجين

ثم عليها أن تؤلف كتاباً عن الطبخ

بل ماذا أقول ؟ لقد ألفت إحدى حكومات أوربا هذا الكتاب وكلفها مئات الألوف من الجنيهات وباعته للعائلات . أجل للعائلات ، حتى تستطيع ربة البيت أن تحسن الطهو . ولكن ، وهنا القيمة العظمى ، الذين أشرفوا على تأليف هذا الكتاب أطباء لا طهاة. أليس هذا حسناً؟ يجب أن نتذوق الطعام بعقولنا فنختار الصحيح السليم الذى يغذو ، ولا نتذوقه بألسنتنا وأفواهنا فقط فنختار الحلو اللذيذ الذى قد لا يغذو أو لا يكون سليما

ان وزارة للعائلة فى مصر يمكن أن تشتغل بمائة شأن وشأن . وهى تحتاج إلى موظفين متمدنين من العلميين والسيكلوجيين والفلاسفة والقانونيين والإجتماعيين هدفهم جميعاً : السعادة لأبناء مصر

ولكن مركز المرأة فى العائلة لا يزال دون مركز الرجل . فإن سيادة الرجل عليها ، وإطلاق حريته فى الطلاق وتعدد الزوجات ، قد جعل مكانتها الإجتماعية منحطة كما جعل مركزها العائلى مزعزعاً لا يستقر . وهذه الحقوق التى يستمتع بها الرجل استمتاعاً مطلقا استبداديا يؤكد سيادته عليها إذ هو يشهر عليها سلاحا هى عزلاء منه

واعتقادى أن انتصار المرأة فى التعليم ، ثم فى الميادين الإقتصادية المختلفة ، سيضطر الرجال فى مصر إلى الإعتراف بالمساواة المطلقة فى الحقوق العائلية . ولن تكون هذه المساواة بالطبع بممارسة المرأة لحق الطلاق أو تعدد الأزواج كما يمارسها الرجال . فإن هذا هراء . وإنما المساواة سوف تتحقق بحرمان الرجل هذين الحقين

وعلى كل رجل نبيل الذهن ، وعلى كل امرأة تنشد الحق والعدل ، أن يسعيا لإلغاء هذين الحقين عند الرجال . ونعنى الإلغاء من حيث الحرية المطلقة للطلاق أو التعدد .. ورد هذين الحقين إلى هيئة القضاء وحده فى محكمة تنتظم فى دستور الدولة العام

هؤلاء الأمهات

يكاد القارىء لفرويد يحس كأن البيت مكان لعذاب الطفل فى السنوات الثلاث أو الأربع الأولى من عمره . وهو عذاب نفسى . إذ هو يحب أمه حباً جنسياً غامضاً . وهو لذلك يحس كراهية لأبيه وخوفاً منه . ثم تنشأ فيه المركبات المؤلفة من الحب للأم والكراهية للأب والإحساس بالخطأ لهذا الموقف ، ثم الخزى والندم لهذا الإحساس

وتحيا معه هذه المركبات . وتتخذ ألواناً أخرى وصيغاً أخرى وتتكون منها حوافز ودوافع فى مستقبل العمر قد تنتهى بالدمار الأخلاقى أو المرض النفسى فى بعض الأحيان

ونحس أيضا ، ونحن نقرأ فرويد وغير فرويد ، كأن الطفل كتلة من الأنانية التى لا يخالطها أدنى بر . وأنه ، لهذه الأنانية،شقى بالعلاقات القائمة بينه وبين أبيه وأخوته من ناحية ، وبين أمه التى يريد أن يستأثر بحبها ولا يطيق أن يشاركه فى هذا الحب أحد من ناحية أخرى

وليس شك أن بعضاً من الأجزاء فى هذه الصورة القائمة صحيح ، ولكن الذى لم يلتبه إليه فرويد أن الطفل فى أنانيته وحيوانيته يتعلم

من الحب الغامر الذى تضفيه عليه أمه حبا آخر يشبه الإيثار وينأى عن الأنانية والحيوانية

ذلك أن حب الأم لطفلها إيثار . والطفل يستجيب إلى هذا الحب الإيثارى بحب إيثارى مثله . لا لأمه فقط، بل لإخوته ولجميع من يتصل بهم من الناس . بل هو ينشأ على هذا الحب الإيثارى ويعامل المجتمع به لأنه رأى قدوته قبل ذلك فى أمه

ونحن نفرض هنا بالطبع أما حبيبة إلى قلبه ،راشدة ، عاقلة . كما نفرض وسطاً عائلياً حسناً من الأخوة إلى الأب إلى الأقارب إلى الزائرين إلى الخدم ، إلى غيرهم ممن يؤلفون أحياناً المركبات،أى العقد، للأطفال من حيث لا يدرون . كما نفرض أيضا سعة فى العيش بحيث لا يحتاج الأطفال إلى أن يمارسوا الخطف والاغتصاب والسرقة لضيق العيش

ان مركز الأم بالدراسات الحديثة يكبر فى المجتمع ، وقيمتها تعلو على أية قيمة فى التربية

الأم هى الأصل فى الحب البشرى العام ،وهى الأصل فى الاحساس الإنسانى

الأم هى الأصل للمجتمعات البشرية

هذا هو ماعلمناه بريفولد فى كتابه « الأمهات »

أجل . نحن نولد حيوانات كما يقول فرويد . نحس الانانية والغيرة ونتزع إلى الخطف والاستيلاء والنهب . ولكن الأم تعلمنا بحبها الإيثارى لنا ، حبا إيثاريا آخر لها ولجميع من نعرف أو نختلط بهم من الناس

يحدثنا بريفولد عن الإنسان قبل أن يعرف الزراعة ويستقر على بقعة

من الأرض لا يغادرها ، فيقول : ان الناس كانوا يجوبون الأرض فى البحث عن الجذور الطرية أو الفواكه البرية،أو يتربصون لصيد طائر أو مطاردة حيوان . ولم يكن هناك زواج بحيث يلتزم الرجل امرأة لا يتجاوزها إلى غيرها . إذ هو لم يكن يدرى أن علاقته بها هى علة التناسل

ولذلك كان الأطفال يلزمون الأم ولا يعرفون الأب ، وكانوا يلتصقون بها فى حب وولاء ويجدون على ثدييها لبنا وحنانا ثم يجدون منها بعد ذلك غوثا وإرشاداً

وهذا هو المجتمع البشرى الأول : أم تجوب الأرض مع ثلاثة أو أربعة أطفال يسيرون خلفها ويلعبون حولها تربطهم جميعاً صلة الحب. ولا يكاد يكون للأب هنا مكان

ألا ترى أننا ما زلنا نسمى الأقارب « ذوى الأرحام » ؟

ذلك لأن صلات القربى التى عرفناها أيام التجوال والبحث عن الطعام هى صلة الرحم . لأننا كنا نلتصق بالأم

ومن الرحم اشتقت فى اللغة العربية كلمة « الرحمة »

فالرحمة هى الصفة التى تربط ذوى الأرحام، أى ذوى القربى

ثم انتقل هذا المعنى الكريم إلى أفراد المجتمع

انتقل من الأم إلى المجتمع . إلى الإنسانية

وينبهنا بريفولد إلى الخطأ الشائع ، وهو الاعتقاد بأن منشأ الحب هو الاشتهاء الجنسى . ويقول ان هذا الاشتهاء أقرب إلى العدوان منه إلى الرحمة والرقة والتعطف

ذلك أن مرجع الحب هو تعلقنا بالأم .

بل ان هناك صيغة للجنون يلتقي بها السيكولوجيون من وقت لآخر هي أن المريض يحب أن يعود إلى الرحم حين لا يطيق هذه الدنيا ، وحين ترهقه الهموم وتصدمه الأحداث . وهو يطوى جسمه كما لو كان جنيناً فى الرحم

وشىء من هذا الإحساس نحسه نحن الأصحاء نحو البيت الذى يمثل لنا فى أمنه وطمأنينته وعزلته وظلة أركانه . يمثل لنا الرحم التى كنا آمنين فيها قبل أن نخرج إلى هذه الدنيا المقلقة المخيفة

أى أننا حين نصبو إلى البيت وهناءته وسعادته إنما نصبو إلى حماية الأم وسكينة الرحم . إذ هو رمزهما فى عقلنا الكامن

ولا تزال ذكرى الأم تؤنس حياتنا بعد موتها ، وتثير فى أنفسنا إحساسات الرحمة والحب والشرف والإنسانية . ولا يستطيع إنسان أن يكون دنساً أو خسيساً إذا مثلت أمه فى ذاكرته

ونحن نعيب على الأمهات تدليلهن للأطفال . وهذا حق إذا كان هذا التدليل مسرفاً . ولكن من منا لا يذكر بالهناء والفرح تلك اللحظات التى وجد فيها من أمه ، وهو طفل ، بعض هذا التدليل ؟

وأكاد لذلك أن أقول أن شيئاً من التدليل يمكن أن يعد حسناً ، وذلك كى يبقى رصيداً نفسياً نذكر به الأم ونصبو به إلى أيام طفولتنا ونشكر للأقدار ما أسدت إلينا من سعادة

وانى لأعرف شيوخاً وكهولا فى الخمسين والستين من اعمارهم إذا ذكروا أمهاتهم ضحكوا ومرحوا كما لو كانوا أطفالا . وعندما أتأمل

هذا السلوك أكاد أتساءل :

هل نحن نخرج من المهد ؟ ألا نعيش فيه طيلة حياتنا من حيث لا ندرى ؟ أليست عواطفنا ونحن فى الخمسين أو الستين من العمر تعود إلى البذور التى زرعتها الأم فى قلوبنا أيام طفولتنا ؟

وزرعتها فى شىء من التدليل المحبب . ولذلك بقيت ثابتة محببة إلى نفوسنا

ان كثيراً من الكتاب يتحدثون عن السعادة ويذكرون ما يجب وما لا يجب لتحقيقها . وكأنهم ينسون أن الذى يزرع بذور السعادة هو الأم . وأن ذكرياتنا للأمومة هى أكبر دعائم سعادتنا . وأن كثيراً مما نرى فى الدنيا إنما نراه بعينيها . وأننا نشهد على الأشياء والناس بضميرها

وأكبر كارثة تقع بإنسان أن تموت أمه أو تنفصل منه بطلاق وهو طفل . إذ هو يحيا بعد ذلك بلا ذكريات حميمة ، وبلا روابط أصيلة تربطه بالمجتمع . وقد ينجح فى إيجاد روابط جديدة حين يجد أما أخرى قد بسطت عليه أمومتها

ولكنه ، إذا لم يجد هذه الأم المستعارة ، يبقى شقياً . إذ هو يرى الاثرة ولا يعرف الإيثار . ويجد الخاطفين ولا يجد العاطفين . وتغيب عنه رمزية البيت كما أنه يعجز عن أن يضفى على زوجته ذلك الإحساس الإيثارى الذى كان يضفيه على أمه

وعلى ذكر الزوجة وعلاقتها بالأم ، أى أم الزوج ، نحتاج إلى بيان منير

ذلك أننا حين نكون على ثديي الأم نحب وجهها ونشغف به، وننشأ ونحن نعد هذا الطراز من الوجه خلاصة الجمال النسوى . فإذا بلغنا ونضجنا صرنا لا نلتفت إلى أفراد الجنس الآخر إلا إذا كن على طراز أمهاتنا فى الوجه والقامة ، بل فى الصوت والإيماءة

ولذلك كثيراً ما نجد زوجين يتشابهان إلى الحد الذى نتوهم منه أنهما شقيقان ، وذلك لأن الزوج عندما شرع يتوسم الوجوه أيام الخطبة ترشحاً للزواج لم يكن يجد من صور الجمال سوى تلك التى كانت تشبه أمه

وما دام هو نفسه يشبه أمه بحكم الوراثة فإنه يختار فتاة تشبهه هو . ومن هنا هذا التشابه الكبير بين الزوجين

إن صورة الأم التى عرفناها أيام الرضاع تبقى ماثلة فى أذهاننا طيلة حياتنا

ليس أبعث فى النفس للوعة والشجن من رؤية الأمومة المنهوكة . حين نصادف أماً قد تجاوزت الخمسين وقد جف ثدياها وانخسف صدرها فإننا هنا نقرأ على وجهها وتفاصيل جسمها تاريخاً إنسانياً . هو الجمال الذى فنى ، والصحة التى تهدمت ، والحيوية التى ذبلت . ونوقن أن كل ذلك قد ذهب ، جمال وصحة وحيوية ، فى خلق أطفالها

ان الأمهات يتمزقن كى يخلقن

ولقد رأيت صورة الأم مرة واحدة فلم أنسها

هى أم الرسام الاميركى هويسلر . رسمها ليس كما كان يراها فقط، بل كما كان يشهد ضميره عليها . رسم نفسها أكثر مما رسم جسمها

رسمها قاعدة على كرسيها ، جافة شائخة ، ولكنها راضية عن حياتها

الذاهبة . لأن ابنها يمتلىء حيوية أمامها ، ويقوم ويقعد ، ويتأملها في فرح ، ويحاول أن يخط بريشته خطوط الأمومة التي كان يحس انطواء جسمها عليها

أليس في نفس كل إنسان هذه الصورة يرسمها لأمه في قلبه ؟

إني كثيراً ما وجدت شعراء كان شعرهم تلفيقا وحياتهم تمليقا . ولكن ما هو أن كانوا يذكرون أمهاتهم حتى كانت تنبجس من قلوبهم العواطف الإنسانية ، وحتى كانت تغلي أرواحهم لوعة وشجنا وطربا

إن الأدب هو التبلور لأخلاق الأمة وخصالها ، وأساليبها في التعبير اللغوي ، وإحساسها الفني نحو الأشياء والناس ، وتعقلها المتزن للعيش وللحياة

والأديب الحق هو الشخصية التي تتبلور فيها هذه الصفات على أعلاها وأجملها

وكثيراً ما أعجب بالأدب الأوربي لأن للأم فيه مقاما عظيما . وما من أديب عظيم في أوربا إلا وهو يحدثنا الحديث الطويل عن أمه وطفولته التي هنىء بها وعاش يأتنس بذكرياتها

لقد كتب مكسيم جوركي عن أمه وجدته أكثر من مائتي أو ثلاثمائة صفحة ، وأخبرنا بأنه كان يعتقد وهو طفل أن جدته قديسة وأن جثمانها لن يبلى في القبر . وله قصة تدعى « الأم » تقرب من ألف صفحة

وكثير من القصص الأوربي هو تراجم لمؤلفيها يذكرون فيها حياتهم أيام طفولتهم في أسلوب قصصي

كان أناطول فرانس على فراش الموت بعد أن بلغ الثمانين ، وكانت آخر كلمة نطق بها وودع بها الدنيا : ماما

الزوج زميل زوجته وليس رئيسها

كانت الشعائر الدينية فى انجلترا تقتضى أن يقول القسيس للزوجة : « يجب أن تطيعى زوجك »

ولكن هذه الجملة حذفت لأن كثيراً من العرائس كن يجبن على هذا الأمر بقولهن : « لا » . فيثرن الضحك بين المدعوين للعرس

وتغيرت العلاقة بين الزوجين الإنجليزيين ، فلم يعد الزوج رئيساً لزوجته يطلب طاعتها وإنما هو زميل يتساوى بها ويتعاون معها

إنسان مع إنسانة ، رجل مع امرأة ، كلاهما على مستوى واحد ، ليس أحدهما رئيساً والآخر مرءوساً . وإنما هما زميلان

ومعنى الرياسة ، الذى لا يزال يوجد فى بلادنا ، والذى يستمتع به الزوج ، يجب أن يلغى . إذ يجب أن تكون العائلة المصرية ديمقراطية يتساوى فيها الزوج بزوجته . فلا رئيس ولا مرءوس : هو يأمر وهى تطيع

نحن نحاول أن نجعل مجتمعنا اجتماعياً ، يتألف من الرجال والنساء وليس من الرجال فقط . ولا يمكن ذلك إلا إذا كافحنا فكرة السيادة

الرجل على المرأة ، ومحوناها ، وأقمنا مقامها فكرة المساواة والزمالة ونحن مضطرون إلى ذلك ولسنا مختارين

ذلك أن الإنتاج العام يحتاج فى مصر إلى أيدى النساء وعقولهن ، كما هو يحتاج إلى أيدى الرجال وعقولهم . وفى جميع الأقطار المتمدنة تنتج المرأة وتزيد الثراء العام والقوة الحربية والغذاء والكساء والبناء

لقد قال لنا الذين زاروا موسكو أنهم رأوا المرأة تعمل فى البناء واستغربوا هذا المظهر . استغربوه لأنهم شرقيون متأثرون بعادات فكرية واجتماعية تحملهم على إيثار المرأة العاطلة التى تتعطر ، على المرأة العاملة التى تكافح

ولكننا فى تنازع بقاء مع الأمم المتمدنة فيجب أن تنتج مثلها . وإذا عطلنا المرأة عن العمل فإن إنتاجنا يقل . إنتاج السلم وإنتاج الحرب . وعندئذ نهزم فى تنازع البقاء . بل قد ننقرض كما انقرض الهكسوس ، والحيثيون ، والكنعانيون ، والبابليون ، والميديون ، والأنباط ، وعشرات غيرهم من الشعوب التى لم تتطور

ان انقراض الأمم المتخلفة ليس خرافة من خرافات التاريخ بل هو حقيقة . وسبيل البقاء وضمان المستقبل هو التطور والرضى بالتغير ، كى تزيد القوة بجميع مظاهرها من ثراء إلى عتاد إلى صحة إلى علم إلى أخلاق

وزمالة المرأة للرجل قوة كبيرة . إذ هى تتربى بهذه الزمالة ، وتعرف هذه الدنيا الواسعة التى كانت إلى وقت قريب محرمة عليها . أى تعرف الإنتاج والكسب وتتخذ أخلاق الرجال فى الجد والعمل والهرس والطموح . بل ان الرجل المصرى يتربى أيضاً بهذه الزمالة ، فلا يؤمن

بأنه رئيس وزوجته مرءوسة . لأنه حين يتعود الزمالة فى المدرسة ، ثم فى المصنع أو المكتب ، ينقل هذا الإحساس إلى البيت . فيتعود الزمالة مع الزوجة ، فلا يعتقد أن له أن يأمر وعليها أن تطيع

الزمالة فى المدرسة والجامعة من أوجب واجباتنا . ويجب ألا يفصل الجنسان مدة التعليم . وليست المدرسة ، وليست الجامعة ، مكاناً للتعليم فقط ، وإنما هما مكان للتربية أيضاً . والتلميذ والطالب يتعلمان من المدرس أو الأستاذ ، ولكنهما لا يتربيان بالدرس أو المحاضرة . وإنما يحصلان على التربية من الزمالة بين الجنسين . ذلك أن الزمالة هى الإجتماع والحديث والعمل المشترك والمناقشة المثيرة . وكل هذا تربية للأخلاق وتكبير الشخصية

وأولئك الذين يقولون بالانفصال فى التعليم إنما يعملون فى الواقع لتعويق تطورنا الإجتماعى ، ونقص إنتاجنا ، والإخلال بتربية أبنائنا وبناتنا

اننا فى « تنازع بقاء » ونحن لا نحتاج إلى أن يقوم بالإنتاج فى المصانع والمزارع والمتاجر والمكاتب ثمانية ملايين شاب فقط ، إنما نحتاج الى انتاج ١٦ مليوناً من الشبان والفتيات

وإذا لم نفعل ذلك فإن الذين يفعلونه يغلبوننا ، ليس فى الحرب بل فى السلم أيضاً . وعندئذ ننقرض أمامهم كما انقرض الهكسوس أمام أسلافنا

وعندما نتزوج على أساس الزمالة والمساواة ، يقوم الحب من الزوجة مقام الاحترام لزوجها . والحب أبر وآمن وأدعم للعائلة من الاحترام .

الزوجة التي تحب زوجها خير من الزوجة التي تحترمه

ولا يمكن الجمع بين الاحترام والحب . بل اننا لانعرف كيف نحترم احد إذا كنا نحبه

ولن يسود الحب البيت إلا إذا كانت الزمالة تأخذ مكان الرياسة

وليس في الدنيا انسان يستحق أن يرأس زوجته . وإنما هناك قوانين وقواعد اجتماعية يجب أن تكون لهـا الرياسة ، وأن يخضع لها الجميع رجالا كانوا أو نساء

إن كل رجل نشأ في مجتمع انفصالى يعـد ناقصاً في تربيته جاهلا للجنس الآخر ، بل هو قد يقع فريسة للشذوذ الجنسى . وكذلك الشأن في كل امرأة نشأت في مجتمع نسوى فقط

ولا عبرة بأن يقال أن مكان المرأة هو البيت

لقد كان الشـــأن كذلك قبل مائة سنة حين كانت أعمال البيت وواجباته تقتضى من المرأة أن ترصـــد حياتها كلها على خدمة البيت والزوج والإولاد . ولكن هذا البيت القديم كان بيتاً غير متمدن . أما البيت المتمدن الآن فلا يحتاج أكثر من ساعة أو نصف ساعة من الخدمة فى اليوم كله . ومن الاجحاف أن نقول للزوجة : إلزمى بيتك ، وابقى معطلة طيلة النهار ، وحسبك أن تعملى ساعة فى اليوم كله

هلموا نحو التمدن

والتمدن هو حق المرأة فى الحرية وواجبها فى الانتاج

بل حقها قبل كل شىء فى المساواة بالرجل وزمالتها له ، وليس مرءوسيتها له

فهرست

صفحة

صفحة

مؤلفات سلامة موسى

وتواريخ صدورها

١	مقدمة السبرمان	١٩١٠
٣	نشوء فكرة الله	١٩١٢
٣	الاشتراكية	١٩١٣
٤	أشهر الخطب	١٩٠٤
٥	الحب في التاريخ	١٩٢٥
٦	أحلام الفلاسفة	١٩٢٦
٧	مختارات سلامة موسى	١٩٢٦
٨	حرية الفكر	١٩٢٧
٩	أسرار النفس	١٩٢٧
١٠	تاريخ الفنون	١٩٢٧
١١	اليوم والغد	١٩٢٨
١٢	نظرية التطور	١٩٢٨
١٣	قصص مختلفة	١٩٣٠
١٤	الدنيا بعد ٣٠ عاما	١٩٣٠
١٥	في الحياة والأدب	١٩٣٠
١٦	ضبط التناسل	١٩٣٠
١٧	حيوننا وحبوب الاجانب	١٩٣١
١٨	غاندى والحركة الهندية	١٩٣٤
١٩	ما هي النهضة	١٩٣٥
٢٠	مصر أصل الحضارة	١٩٣٥
٢١	الأدب الانجليزى الحديث	١٩٣٦
٢٢	الشخصية الناجعة	١٩٤٢
٢٣	حياتنا بعد الخمسين	١٩٤٤
٢٤	حرية العقل في مصر	١٩٤٥
٢٥	البلاغة العصرية واللغة	١٩٤٥
٣٦	التثقيف الذاتي	١٩٤٦
٢٧	عقل وعقلك	١٩٤٧
٢٨	تربية سلامه موسى	١٩٤٧
٢٩	فن الحب والحياة	١٩٤٧
٣٠	طريق المجد للشباب	١٩٤٩
٣١	(مجموعة قصص)	
٣٢	محاولات	١٩٥٣
٣٣	هؤلاء علموني	١٩٥٣
٣٤	كتاب الثورات	١٩٥٤
٣٥	الأدب للشعب	١٩٥٦
٣٦	دراسات سيكلوجية	١٩٥٦
٣٧	المرأة ليست لعبة الرجل	١٩٥٦
٣٨	برنارد شو	١٩٥٧
٣٩	أحاديث الى الشباب	١٩٥٧
٤٠	مشاعل الطريق للشباب	١٩٥٩
٤١	مقالات ممنوعة	١٩٥٩
٤٢	الانسان قمة التطور	١٩٦١
٤٣	افتحوا لها الباب	١٩٦٢
٤٤	الصحافة حرفة ورسالة	١٩٦٣
٤٥	معجم الأفكار	

على المرأة ، كما يقول سلامة موسى فى هذا الكتاب ، أن تحيا حياتها لنفسها أولا ، ثم لمجتمعها وزوجها وابنائها ، كما على الرجل أن يحيا حياته ، مثل المرأة ، لنفسه أولا ، ثم لمجتمعه وزوجته وأبنائه . والرجل لا يتخصص للزواج ، وكذلك المرأة يجب الا تتخصص للزواج . ذلك لأن إنسانيتنا ، نحن الرجال والنساء ، أعلى من هذا وأرحب من أن يحتويها هذا التخصص . وليس من حق أحد فى الدنيا أن يقول للمرأة : عيشى فى البيت طيلة عمرك ، ثمانين أو تسعين سنة ، لا تختلطى بالمجتمع ، ولا تؤدى عمل المحامى أو الطبيب أو الصانع أو الكيماوى أو الفيلسوف . وانما أقصرى كل قوتك وكل وقتك على الطبخ والكنس وولادة الأطفال . .

التوزيع للمستقبل بالفجالة والاسكندرية
ومؤسسة المعارف ببيروت